مجلة جامعة البعث

سلسلة العلوم الأدبية واللغوية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 45 . العدد 17

1445 هـ - 2023 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. محمود حديد	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (40000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (100000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (6000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
دلالة الألوان ومعانيها البلاغية في الشعر العربي	د. ردينة القاسم	42-11
تعليل التسمية في القاموس المحيط	سلام أبو الروس د. أمينة أيوبي	64-43
العادات والتقاليد في روايات المدينة الفاسدة" الديستوبيّة" في القرن الحادي والعشرين	منار العرب د. يوسف جابر	82-65
قيمة الجميل في الشعر الجاهلي (دراسة تحليلية)	شذا مندو د. منار العيسى	112-83

الفعل الإنجازيّ في أسلوب الاستفهام مقاربة لسانيّة في رواية "بنات حارتنا" لـ"ملاحة الخاني"	ملاذ حرفوش د. مالك ياسين	132-113
مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة لإتقان مهارات مادة اللغة العربية لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسيها	د. حسن الأحمد د. عزيزة رحمة سارة النحاس	168-133

دلالة الألوان ومعانيها البلاغية في الشعر العربي

الباحثة: د. ردينة القاسم

كلية: الآداب – جامعة: البعث

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى دراسة الألوان في الشعر العربي، والكشف عن دلالاتها على مستوى المبنى والمعنى.

استُهِلَّ البحث بتعريف اللون لغةً واصطلاحاً، ودراسة أنواعه، وبيان قيمته الجمالية، وتحديد وظيفته الدلالية عن طريق الجانب التطبيقي من خلال تحليل الشواهد الشعرية التي تتضمن الألوان بمختلف أنواعها.

خُتِمَ البحث بنتائج علمية توضح أهمية اللون في عملية التذوق الفني والدلالي والجمالي.

الكلمات المفتاحية: ألوان، بلاغة، دلالة، شعر، عربي.

The rhetoric of colors and their

Research summary

Implications in arabic poetry research summary:

This research seeks to study colors in arabic poetry, and to reveal their meanings at the level of structure and meaning.

The research began with difining color linguistically and idiomatically, studing its types, explaining its aesthetic value, and defining its semantic function through the applied side by analyzing monthly evidence that includes colors of all kinds.

The research concluded with scientific results that show the importance of color in the process of artistic, semantic and aesthetic taste.

Key words: colors, rhetoric, semantics, poetry, arabic.

مقدمة:

يُعدُّ اللون سمة مميزة من سمات الحياة الذاتية والاجتماعية والجمالية؛ لأنّه أسلوب تعبيري عن انفعالات الناس وأفكارهم ومشاعرهم وخواطرهم، بوصفه يملك قدرة غريبة تكشف شخصية الإنسان ونشاطاته الذاتية، فهو قوة إيحائية لها دلالات مباشرة ترتبط بمفهومات جمالية ورمزية وتعبيرية، وهذا ما جعله مُتنفساً للشعراء الذين يعبّرون من خلاله عن كوامنهم الروحية وتجارب الذات الإنسانية؛ كما يُمثّل اللون أهمية كبيرة في حياة الإنسان، لما له من دور عظيم مؤثر في حياتنا اليومية، فهو موجود في الملبس، والذوق، والشعر والفن، ويُثير انتباهنا بشدّة؛ لأنّه يؤثر في الجهاز العصبي، بما يحمله من دلالات نفسيّة واجتماعيّة، وفنيّة، وثقافيّة، ورمزية، وتتجسّد القيمة الفنية والجمالية والنفسية للألوان عن طريق استخدامها في مُختلف نواحي الحياة، وتظهر بلاغة اللون بما تتضمنه من أساليب بيانية وبديعية متنوعة الدلالات.

مشكلة البحث:

تأتي صعوبة البحث من اتساع موضوع الدراسة، وكثافة الألوان وتشابكها فيما بينها، إضافة إلى عدم إعطاء دلالة الألوان حقها من الدراسة الوافية التي تستحقها إلا فيما ندر من الألوان المشهورة، وإهمالهم دلالة بعض الألوان النادرة.

أهمية البحث والجديد فيه:

تكمن الأهمية العلمية للبحث في دراسة الألوان دراسة دلالية عميقة مع الولوج في إمكاناتها الإيحائية في الشعر العربي، تلك الإمكانات المؤثرة في القيم الروحية عند تذوق جماليات الشعر العربي، إضافة إلى امتزاج هذه الألوان ببعض الفنون البلاغية المتنوعة، وتوظيف الدلالة اللونية توظيفاً باطنياً معبّراً عن الذات الإنسانية.

أهداف البحث وأسئلته:

تؤدي دراسة الألوان في الشعر العربي إلى توضيح مفاهيم جمالية ودلالية ابتكرها الشعراء عند متابعة التغيرات الدلالية لبعض الألوان حسب ما يقتضيه السياق الشعري، فضلاً عن كشف قدرتها على إنتاج الجماليات التي لا تستطيع الدراسة الأدبية معرفة كوامنها، وإنما يمكن الوصول إليها عن طريق معرفة الدلالات النفسية والاجتماعية والرمزية التي يهدف إليها كل لون من هذه الألوان.

ويتبادر إلى الذهن مجموعة من الأسئلة، نذكر منها:

1-ما مدى أهمية الجانب التطبيقي لدراسة الألوان في الكشف عن شخصية الإنسان وموضوعات الحياة بما يحمله من دلالات وإيحاءات مختلفة؟

2-هل ساهم دمج فنون البلاغة مع الألوان بإثراء رصيد البلاغة في الشعر العربي؟

منهج البحث:

تم اعتماد المهج التحليلي الوصفي بوصفه المنهج الأقرب لتحقيق أهداف الدراسة.

فرضيات البحث وحدوده:

كل لون من الألوان المدروسة له وظيفة دلالية مجازية جمالية تساعد في الولوج ضمن كوامن الذات الإنسانية.

الدراسات السابقة:

1-دلالات الألوان في شعر نزار قباني، إعداد: أحمد عبدالله محمد حمدان، إشراف: يحيى جبر وخليل عودة، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول

على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008م.

2-دلالة اللون في الشعر النسوي العراقي المعاصر، م.م: فرح غانم صالح حميد البيرماني، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم اللغة العربية، الأستاذ، العدد (203)، 1433هـ-2012م.

3-اللون ودلالته في القرآن الكريم، إعداد: نجاح المرازقة، إشراف: حسن الربايعة، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير، جامعة مؤتة، 2010م.

4-جمالية اللون ودلالته في الشعر العربي المعاصر، قراءة في ديوان بدر شاكر السياب، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه الطور الثالث مشروع النقد الأدبي الحديث والمعاصر، إعداد: سويزف فريدة، إشراف: بودالي التاج، جامعة جيلالي ليابس، 2017م.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

اللون لغةً:

اللون: "هيئة كالسواد والحمرة، ولونته فتلوّن، ولون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره، والألوان: الضروب، واللون: النوع، وفلان متلون إذا كان لا يثبت على خلق واحد"[1].

اللون اصطلاحاً:

إنّ الشعر العربي له علاقة وطيدة باللون منذ أقدم العصور، فهو يُصوِّر مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية بوصفه لغة تعبيرية لها دلالات نفسية مؤثرة؛ وذلك لأنَّ "ألوان

[1] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (711هـ)، دار صادر، بيروت، مادة (لون).

الأشياء وأشكالها هي المظاهر الحسية التي تحدث توتراً في الأعصاب وحركة في المشاعر، إنّها مُثيرات حسيّة يتفاوت تأثيرها في الناس، لكنّ المعروف أنّ الشاعر – كالطفل– يحب هذه الألوان والأشكال ويحب اللعب بها. غير أنّه ليس لعباً لمجرد اللعب ، وإنّما هو لعب تدفع إليه الحاجة إلى استكشاف الصورة أولاً، ثم إثارة القارئ أو المتلقي ثانياً، فالشعر إذن ينبت ويترعرع في أحضان الأشكال والألوان، سواء أكانت منظورة أو مُستحضرة في الذهن، وهو بالنسبة للقارئ وسيلة لاستحضار هذه الأشكال والألوان في نسق خاص، إنّه تصورات تستمتع الحواس باستحضارها"[1]، فاللون هو الشعور الذي نستطيع من خلاله أن نعبّر به عن ذاتنا بما يتضمنه من معانٍ ورموز ودلالات متنوعة.

يتعلّق اللون بما يحمله من دلالات نفسية متصلة بحياتنا اليومية؛ لأنّ "اللون موسيقى الوجود وهبة الله للحياة، فكل شيء فيها يأخذ لوناً، فالحب أحمر، والنقاء أبيض، والكراهية صفراء، والظلم أسود، والرومانسية بنفسج، فما أروع العاشق حين يرى الكون مُتناغماً في ألوانه حين يعزف لحن الحياة والخلود، حتى الإنسان يتلون أيضاً، فالحسود عينه صفراء، والغاضب عينه حمراء، والكريم يده بيضاء، وكذلك الأيام تتلون، فاليوم الجميل نبدأه بالبياض ..."[2].

أمّا من الناحية العلمية فإنّ اللون الأبيض يُمثّل "الضوء الذي ما كانت رؤية الألوان ممكنة من دونه، فكلّ الألوان مُتضمنة في الضوء الأبيض، فهو مكوّن من حزمة من الأشعة، يمكن أن تحلل بواسطة منشور"[3].

---

[1] التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، الطبعة الرابعة، ص59–60.

[2] سيكولوجية الألوان "دلالات التفضيل لدى العاديين والمرضى النفسيين والفئات الخاصة"، خالد محمد عبدالغني، الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2015م، الأردن، ص13.

[3] اللغة واللون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 1997م، ص111–112.

اللون الأبيض:

تتفق جميع الحضارات باختلاف بيئاتها على دلالة اللون الأبيض، فهو يرمز إلى الخير والتفاؤل، لِما له من علاقة بالنقاء، والصفاء، والنور، والإشراق، والأمل، والحياة، فالأبيض "لون تام ومُكتمل، يختلف فقط في تدرجه- من الكامد (البارد) إلى اللامع- تارة بمعنى الضباب، وتارة هو حصيلة الألوان، يرتكز أحياناً عند بداية أو نهاية الحياة النهارية والعالم المعلن، وهذا ما يمنحه قيمة مثالية"[1]، وهو لون مريح للنظر بوصفه "أول الألوان الموسومة بالفئة الباردة التي تثير الشعور بالهدوء والطمأنينة"[2].

وقد حمل هذا اللون دلالات مختلفة من خلال امتزاجه بالفنون البلاغية، كما في قول امرئ القيس حين يُعدّد مناقبه مُفتخراً بنفسه وأفعاله:

وبيضٍ منعتُ، وبيضٍ سلبتُ وبيضٍ كنفتُ، وبيضٍ كفيتُ[3]

دلّ الجناس التام[4] على معاني اللون الأبيض الذي تكرر أربع مرات في بيت واحد، فقصد الشاعر في عبارة (وبيضٍ منعتُ) النساء الحسناوات الجميلات ذوات البياض الساحر اللواتي منعهنّ عنه، أما في (وبيضٍ سلبتُ) فتعني السيوف، وذلك للدلالة على شجاعته، فذكر كلمة بيض بمعنى السيوف؛ لأنّه يرمز إلى القوة والشهامة والرجولة، فتغنّى العرب ببياض السيوف لما لها من رموز فكرية تمثّل صوراً شعرية جمالية من

[1] الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، دلالتها)، كلود عبيد، مراجعة وتقديم: محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1434هـ، ص53.

[2] الإضاءة المسرحية، شكري عبدالوهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ص85.

[3] ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، 1389هـ، ص322.

[4] "الجناس التام هو: "أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين"، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (654هـ)، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، لجنة إحياء التراث، الطبعة الثانية، 1995م، 105/1.

خلال ألوان السيوف الناصعة البياض، ويُشير في (وبيضٍ كنفتُ)إلى النساء اللواتي جعلهنّ في كنفه، أمّا في قوله (وبيضٍ كفيتُ) أشار إلى النساء اللواتي لم يُعرض عنهنّ، فكرّر كلمة (بيض) التي تدلّ على النساء لما يتمتّعن به من بياض ناصع يُثير الانتباه ويُلفت الأنظار بسبب قوة الصفاء والنقاء الذي ساهم في تحويل الصورة البصرية بقيمها الجمالية إلى صورة ذهنية تُريح النفس.

ويحتمل اللون الأبيض معانٍ مُختلفة عن الدلالات السابقة، فيخرج إلى معانٍ جديدة يدلّ عليها اللون المذكور في سياق الكلام، وهذا ما نجده عند الشاعر كثير عزة في قوله:

كما مال أبيضُ ذو نشوةٍ بِصَرْخَدَ باكرَ كأساً شَمولا[1]

وقد ورد اللون الأبيض بمعنى كريم، فخرج هذا اللون عن معنى النقاء والطهارة وغيرها إلى معنى الجود، وهو أسلوب بلاغي استخدمه الشاعر كناية عن الكرم، فعدل عن التصريح بهذه الصفة ونقلها من المعنى الظاهر إلى المعنى المقصود، فالمعنيان الحقيقي والمجازي متناسبان مع بعضهما؛ لأنّ الشاعر لم يأتِ بصفة الكرم مباشرةً، وإنّما كنّى عنها باللون الأبيض، وفي هذا دلالة على مقدرته الفنية والبلاغية.

ويتكرر اللون الأبيض أيضاً في بيت شعري واحد حاملاً دلالات مختلفة ومتنوعة، وفي ذلك دليل على مقدرة الشاعر ووعيه الفني في استخدام الألوان بمعانيها المختلفة، فهذا المتنبي يمدح صديقه مُستخدماً فن الجناس التام، في قوله:

وما عَدِمَ اللاقُوك بأساً وشدّةً ولكنّ مَنْ لاقَوا أشدُّ وأنجبُ

ثناهم وبرقُ البيضِ في البيض صادقٌ عليهم وبرقُ البيض في البيضِ خُلَّبُ[1]

[1] ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه: إحسان عباس، نشر وتوزيع: دار الثقافة، بيروت، 1391هـ، ص392.

إنّ المحاربين الذين جاؤوا لملاقاتك في ساحة القتال لم يعرفوا القوة والشجاعة إلا عند مواجهتك؛ لأنّهم يعلمون أنّك الأقوى والأذكى والأشجع، وذلك من خلال ردهم خائفين لدى رؤيتهم ذلك البطل الشجاع حاملاً سيفه الأبيض الناصع في الخوذ، أما سيوفهم البيض فلا تفيدهم شيئاً؛ لأنّها كالبرق الكاذب الذي لا مطر فيه.

استخدم فن الجناس التام في تكرار لفظ (البِيض) وتعني السيوف، أمّا (البَيض) فتعني الخوذ التي تتخذ معنىً مُغايراً مُتصلاً بوشائج التنغيم من خلال العلاقات المتداخلة بين الألفاظ المتجانسة التي يجمع بينها ترابط لغوي ينتج عنه بعداً إيقاعياً وجمالياً يحقق قوة في الانفعال الوجداني الصادر عن التنغيم الموسيقي القوي الذي يُشعِرُنا بوقع السيوف وشدّة القتال.

وقد يحمل اللون الأبيض دلالات سلبية تدل على الحزن والتشاؤم، فنجد ذلك في شعر المتنبي عندما ينعي فترة الشباب الذي لن يعود أبداً، ويتحسر على كل يوم مضى:

وما ماضي الشباب بمُستَرَدٍّ ولا يومٌ يمرُّ بمُستعادِ

متى لحظت بياضَ الشيبِ عيني فقد وَجَدْتهُ منها في السواد[2]

يتأسف المتنبي على مرحلة الشباب فيتشاءم من قدوم الشيب الذي يذكّره بدنو الأجل، فعندما ترى عين الشاعر منظر الشيب المُغطّي شعره يتحول سواد عينه إلى بياض أيضاً؛ فتعمى عينه لدى رؤيته ذلك، وكأنّ بياض الشيب حلّ مكان سواد العين فعمي، وهذا سبب نفسي يُعاني منه الشاعر.

[1] ديوان المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ، ص469.

[2] ديوان المتنبي، ص85.

لقد حمل الطباق[1] بين (البياض والسواد) طاقة حركية عالية توضح اختلاف الدلالات، فقد أصبح (البياض) نذير شؤم وضعف، و(السواد) رمزاً للشباب والقوة، وهذا يجعلنا نقف أمام ثنائية ضدية (البياض والسواد) أي (الضعف والقوة).

رسم الشاعر صورة مخيفة سيطرت على أعماقه حين أسقط لون البياض على سواد عينيه فعمي؛ لأنّ البياض موت وفناء، أمّا الشباب يدلّ على الإشراق وقوة الذهن، وقد جعل الشاعر للون الأبيض دلالة سلبية حين عادل البياض العمى حسب نفسية الشاعر عندما حلّ البياض مكان السواد؛ فسبب العمى الذي يعبّر عن معاناة الشاعر وعذابه.

اللون الأسود:

"رمز الحزن والألم والموت، كما أنّه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتم"[2]، فاللون الأسود يدلّ على الكآبة والتشاؤم، أمّا اللون الأبيض فهو يدلّ على الخير والتفاؤل والطمأنينة والسلام، وقد يخرج كل من اللونين عن المألوف إلى دلالات مغايرة لما ذكرناه، وهذا ما نجده أيضاً في شعر كعب بن زهير الذي تضمن شعره فن التدبيج بما يحمله من معانٍ مختلفة عند مقارنته فوارق السواد والبياض، فيقول:

بان الشباب وأمسى الشيب قد أزفا ولا أرى لشباب ذاهب خلفا

عاد السوادُ بياضاً في مفارقِهِ لا مرحباً ها بذا اللون الذي رَدِفا[3]

[1] الطباق هو: "الجمع بين معنيين متقابلين"، أنهر البلاغة وحسن الصنيع في علمي المعاني والبديع، حمدان مصطفى، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2009م، ص104.

[2] اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ص229.

[3] ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدم له: علي فاعور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، 1417هـ، ص45.

لقد رحل الشباب دون عودة، وحلّ الشيب مكانه، فتحوّل لون شعره الأسود إلى لون أبيض غير مرغوب فيه، فيتأسف الشاعر على أيام شبابه عندما كان فارساً شُجاعاً يتميّز بالقوة والإقدام، أمّا الآن فقد أصبح شيخاً عجوزاً ضعيفاً، لا يقوى على فعل شيء سوى انتظار قدره المحتوم وهو الموت.

اللون الأسود دلالة إيجابية بوصفه مرحلة الشباب التي عاشها الشاعر، وهذا ما جعله يفضل السواد على البياض الذي أصبح كناية عن مرحلة الشيخوخة التي ألمّت به، فعبّر عن التقابل بين القوة والضعف من خلال التضاد اللوني بين السواد والبياض الذي ترك أثراً عميقاً في نفس الشاعر.

كما نُلاحظ خروج اللون الأسود عن معانيه الأساسية إلى دلالات متنوعة مخالفة لما نعرفه، ونجد ذلك عند الشاعر أبي العتاهية الذي يتحسر على شبابه وأيامه الماضية، في قوله:

قَلَبَ الزمانُ سوادَ رأسِكَ أبيضاً، ونعاكَ جسمُكَ رِقّةً، وتقبُّضا[1]

ورد الطباق بين اللونين (سواد، أبيض)، فسواد الشعر في هذا البيت مُحبّب إلى النفس والعين؛ لأنّه يحمل معاني القوة والحيوية والشباب، فهذا السواد ينبثق من جمالية الظلمة التي سيطرت بظلامها على الشعر لتمزج الشباب بالقوة والنشاط، فأصبح اللون الأسود يرمز إلى الأمل والحياة، ثم يدور الزمان فتتغير دلالة اللون الأبيض إلى الإحساس بالضعف والانهزام واليأس والوهن، مما يشكل انهزاماً نفسياً يستدعي الخوف وانقطاع الأمل من الحياة؛ لأنّه يرمز إلى دنو الأجل واقتراب الموت لما فيه من دلالات سلبية تسبب ضيق نفسي يسيطر على عاطفته المتوجعة، فالشيب نذير شؤم وخوف من المجهول، فيُصبح الإنسان كئيباً حزيناً وتتلاشى قواه، ويُعاني عذاباً نفسياً وجسدياً نتيجة

[1] ديوان أبي العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ، ص240.

إحساس قاتل بالضعف والاستسلام بحرقة وألم وأرق وتعب تحسُّراً على فقد الشباب الذي عبّر عنه تعبيراً لونياً حزيناً.

نُلاحظ أنّ التضاد بين الأبيض والأسود يُساعد في تجلية المعنى المقصود وتوضيحه؛ لأنّ "من شرط الضدين أن يكونا من جنس واحد، كالبياض والسواد، فإنّهما يجتمعان في اللونية، وإذا كان النوعان المتعادلان لا يختلفان إلا في صفة واحدة موجودة في أحدهما معدومة في الآخر كان التضاد بينهما ثابتاً، كاللونين المتكاملين فإنّه كلما كان أحدهما إلى أخيه أقرب كان التضاد بينهما أعظم"[1].

وقد طابق المعري بين اللونين مُظهِراً التناقض الواضح في المعنى الذي يحمله كل منهما:

كم أُعاني للدّهرِ بيضاً وسوداً بين خُضرٍ من السنينَ وحُمرِ[2]

نُلاحظ تشابك خيوط الألوان التي تربط بين الأبيض والأسود، فيضم أحدهما إلى الآخر، ويتحدان معاً ويستقران في نفسه المضطربة المتوترة التي يتمنى لها الهدوء والاستقرار، ويرمز إلى أيامه الهادئة بالبيض للدلالة على السكون، وإلى أيامه القاسية بالسود للدلالة على الحزن والتشاؤم والكآبة والمُعاناة والظلام الطاغي على القلب الذي يرمز إلى فقدان الحياة، وتظهر جمالية المعنى أمام الثنائية الضدية (بيض، سود)؛ لأنّ الضد يُظهِر حسنه الضد، فالبيض ضوء الأيام، والسود ظلام الليالي، إضافة إلى (خضر) التي تدل على السنين المُخصبة، و (حمر) التي ترمز إلى الأعوام المُجدبة، وكأنّ هذا البيت يتضمن لون بديعي بلاغي هو اللف والنشر، فقد تمثّل اللف في (بيض، سود)، وجاء النشر مُتسلسلاً على ترتيب اللف (خضر، حمر)، فاللف هيّأ أذهاننا ونفوسنا

[1] المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، 285/1.

[2] ديوان اللزوميات، أبو العلاء المعري، تحقيق: أمين عبدالعزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 426/1.

لمعرفة ما سيذكر بعده من النشر العائد على اللف، فعاد بكلمة (خضر) إلى (بيض) حين ردّ السنين المُخصبة إلى أيامه البيض، كما عاد أيضاً بنشر (حمر) إلى (سود) وذلك بربطه السنين المجدبة بأيامه السود، وما فيها من ألم وعذاب يزيد شدّة وثقلاً على نفس الشاعر، فوقع في النفوس موقعه عن طريق لف مرتب ليتم المعنى المُراد عندما ردّ كل لون من الشطر الثاني إلى اللون الذي يُناسبه من الشطر الأول، فتظهر جمالية اللف والنشر في المتعة واللذة التي نشعر بها أثناء اكتشاف العلاقة بين كل لون واللون الآخر المرتبط به لإعطاء بعداً جمالياً عن طريق التشويق الحاصل أثناء التحليل والتفسير لإيضاح المعنى المقصود.

اللون الأصفر:

"قوي، عنيف، حاد إلى درجة تمكنه أن يكون ثاقباً، أو رحباً باهراً، وهو الأكثر دفئاً، الأكثر بوحاً، الأكثر تأججاً واتقاداً من بين الألوان، يصعب إخماده أو تخفيفه"[1]، ويدل اللون الأصفر على الذكاء وجذب الانتباه ولفت الأنظار؛ لأنّه لون "مُرتبط بالتحفز، والتهيؤ للنشاط، وأهم خصائصه اللمعان والإشعاع والإثارة والانشراح"[2]، وهو أكثر الألوان فرحاً؛ لأنّه لون مُبهج ومتوهج ومشرق، بوصفه لون الشمس مصدر الضوء والنور والدفء والحياة والنشاط والجمال، وهذا ما نجده عند الشاعر وضاح اليمن الذي يصوّر الملامح الجمالية للمرأة، فيقول:

تذكّرَ سلمى وَهْيَ نازحةٌ فحنّْ وهلْ تنفعُ الذكرى إذا اغتربَ الوطنْ

ألمْ ترَها صفراءَ رُؤْداً شبابُها أسيلةَ مجرى الدمعِ كالشّادنِ الأغنْ[3]

[1] الألوان، كلود عبيد، ص107.

[2] اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ص229.

[3] ديوان وضاح اليمن، جمعه وقدّم له: محمد خير البقاعي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م، ص96.

لقد تذكر سلمى، فقتله حنينه إليها؛ لأنّها بعيدة ويستحيل الوصول إليها، ولكنّ الذكرى لا تنفع بعد الهجر والفراق، ثم ينتقل لتصوير لقطات الجمال عن طريق رسم لوحة شعرية لطيفة، فيبدأ كلامه باستفهام إنكاري غرضه التقرير (ألم ترها)، أي لقد رأيت جمال لونها، فهي (صفراء) مشرقة متوهجة كتوهج أشعة الشمس، فاللون الأصفر يعكس بعداً جمالياً في صفات المحبوبة ذات اللون الأصفر، وفي ذلك كناية عن قوة لمعانها وإشراقها؛ لأنها رمز الصفاء والبهاء والسطوع والنورانية، بوصفها تمنح من حولها بريقاً لامعاً مُضيئاً مُثيراً للتفاؤل والقوة، فهي حسنة الشباب ناعمة الخد الأسيل المستوي كولد الظبية الأغن الذي يُخرِج غنّة مميزة لها تأثير في النفوس.

وقد يحمل اللون الأصفر دلالات سلبية تُوحي بالاعتدال لسبب من الأسباب، فربما يصل به الأمر إلى الجنون أو التشرُّد أو الموت، وذلك في قول أبي العلاء المعري:

إذا اصفرَّ الفتى لفراقِ روحٍ فأهونْ بالتّصعلكِ والشحوبِ[1]

(اصفرَّ الفتى) أي اكتسى وجهه بالصفرة، فقد ورد اللون الأصفر في هذا البيت للدلالة على المرض والذبول والشحوب والجفاف، وهو لون العاشق المريض من شدة التعب والهيام، فينهار الإنسان ويُصاب بالخمول عند تجرُّعه غُصص البعد وألم الفراق، فتظهر عليه ملامح اليأس والشقاء حين تتوجع الروح ويموت القلب ألماً وحزناً على فقد عزيز لن يعود أبداً، ففي ذكر اللون (الأصفر) كناية[2] عن مرض الجوارح وشحوبها وقلقها إثر لوعة الفراق الذي يُسبِّب مرض الروح والجسد.

[1] ديوان اللزوميات، أبو العلاء المعري، 129/1.

[2] الكناية "لفظ أُريد به لازم معنى مع جواز إرادة معناه حينئذٍ"، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد (739هـ)، وضع حواشي: محمد إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م، ص241.

هذا اللون الأصفر يُعبّر عن مشاعر الأسى الصادرة عن نفس مُتألمة بسبب أثر عمق المأساة وهول المعاناة التي تُخرِج الآهات من القلب في صورة إنسانية شكّلت غصّة في نفسه إثر الفقد وشدّة التوجع أمام قوة المصاب والفاجعة التي جعلت شعره ممتزجاً بحرقة مؤلمة صادرة عن أعماق أعماقه نتيجة ضعفه واضطرابه مما جناه من لوعة الفراق وشدّة الوجد لحظة الفقد.

وربما يرمز اللون الأصفر إلى دلالة تُكسب صاحبها رؤية جمالية تترك أثراً عميقاً في النفوس، وهذا ما نجده في شعر ابن عبد ربه الأندلسي، في قوله:

بيضاء أنماها النعيم بصفرة فكأنما شمس بغير شعاع[1]

يرسم الشاعر لوحة إشراقية للمحبوبة البيضاء المشربة بصفرة تجعلها أكثر إضاءة من خلال صورة كوكبية نورانية يشبّه فيها لون بياض محبوبته الذي تشوبه صفرة بصورة الشمس المجردة من أشعّتها؛ لأنّ امتزاج الصفرة مع البياض يمنح صورة المحبوبة بُعداً جمالياً، يؤكد نعومة الجلد الأبيض لتُصبح المحبوبة أكثر نورانية، كالشمس بوصفها مصدر الضوء، فالشاعر هنا يتذوق جمال المحبوبة عن طريق مقارنتها بالشمس.

اللون الأخضر:

"الأخضر قيمة معتدلة، وسطية بين الساخن والبارد، والعالي والهابط، وهو لون مسكن، مُنعش وإنساني"[2]، فهو لون يُبهِج النفوس ويسرّ القلوب؛ لأنّه يرتبط بالخصب النابع من جمال الطبيعة وخضرة النبات التي تعكس صورتها على الإنسان، فتُماثل مرحلة الشباب الذي يُوحي بالأمل والتفاؤل.

[1] ديوان ابن عبد ربه، ابن عبد ربه، جمعه وحققه: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1979م، ص108.

[2] الألوان، كلود عبيد، ص91.

واللون الأخضر لون الأشجار والغابات والصفاء والطبيعة، وذلك خلاف ما ورد في شعر امرئ القيس الذي استخدم الأخضر بشكل مُتناقض لما عرفناه، في قوله:

فأوردها من آخرِ الليل مَشرَباً بلائقَ خُضراً ماؤهنَّ قَليصُ[1]

في هذا البيت خرج اللون الأخضر عن المألوف إلى دلالات سلبية تدلّ على عدم صلاحية هذا الماء للشرب، فأتى بكلمة خضر كناية عن تلوّث الماء وتعكيره بسبب شدّة القتال مع هذا البطل المغوار، وشجاعة هذا الفارس الذي يخوض المعارك، فينزل إلى ساحات القتال دون رهبة أو خوف من العواقب.

واللون الأخضر من أجمل الألوان وأكثرها قرباً إلى قلوب الناس؛ لأنّها لون الحدائق والغابات، فهي تريح الناظرين وتُعطي الإحساس بالطمأنينة، وتقلل من الشعور بالكآبة والتوتر والتشاؤم، كما في قول أبي العتاهية:

لهفي على وَرَقِ الشبابِ، وغصونِهِ الخُضرِ الرطابِ[2]

يتحسر الشاعر على أجمل أيام شبابه اليانعة الخضراء التي تمنح شعوراً بالهدوء والسكينة، أيام الراحة والجمال، فالأخضر لون الحياة والخلود والتجدد والخير، وله دلالات مُشعّة تتجه نحو النضارة والخصوبة، بوصفه لون هادئ ومُريح للأعصاب، وخاصة عندما يتذكر أيام الشباب والنمو والتفاؤل؛ لأنّ (غصونه الخضر الرطاب) كناية عن النشاط والتجدُّد والحيوية، فاللون الأخضر يمنح الشاعر إحساساً مميزاً تنبض فيه روح شفافة تضجّ بالحيوية والحركة التي تجذب النفوس، فجعل أيام شبابه خضراء لنشعر وكأنّ الطبيعة تتجسد داخله تجسُّداً إنسانياً تنفث فيها روح الحياة وكأنّها إنسان شاب يتأسف على رحيله إلى غير رجعة.

[1] ديوان امرئ القيس، ص182.

[2] ديوان أبي العتاهية، ص68.

اللون الأزرق:

وهو لون الهدوء والسكينة والحكمة؛ لأنّه يُوحي بالتفكير والتأمل الباطني، وله درجات مُتفاوتة؛ لأنّ "القاتم منه يدلّ على الخمول والكسل والهدوء والراحة، أما الفاتح فيعكس الثقة والبراءة والشباب، والأزرق العميق يدلّ على التميز والشعور بالمسؤولية"[1]، وله دلالات إيجابية متنوعة، فقد يحمل معنى القوة والشدة، وهذا ما نراه عند الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد الذي يُعبّر عن شجاعته وغضبه، في قوله:

عواليَ زُرقاً من رماحٍ رُدينةٍ هريرَ الكلابِ يتَّقينَ الأفاعيا[2]

يُصوّر الشاعر تأثير الرماح الزرقاء وما تركته من خوف وهلع في نفوس الأعداء، معبّراً عن الاستبشار بالنصر على الجبناء الهاربين لدى رؤيتهم الرماح كهروب الكلاب رعباً من رؤية الأفاعي؛ لأنّ في زرقة الرماح كناية عن القوة والعزم والإصرار، فالشاعر يُضفي على الرماح صفات تدل على ما يحمله أصحابها من قوة وعزّة وقيم يتسمون بها؛ لأنّ هذه السمات تنتقل إلى حاملها، وتُضفي عليه صفاتها، لتوحي بالقوة الخارقة التي يتمتعون بها.

إنّها رماح زرقاء حادة لامرأة تُنسب إليها الرماح، وهذا ما جعل الأعداء متوترين مضطربين، فيتقون الشاعر وقومه لمجرد رؤيتهم تلك الرماح، ويهرعون ذعراً كما تهرب الكلاب خوفاً من الأفاعي، فقد رسم الشاعر طريقة هروب الأعداء في صورة حركية مخيفة شديدة الرعب لدى رؤيتهم منظر الرماح الردينية، مُعبّراً عن قساوة الموقف، والشعور بالرهبة، وبث الروع في النفوس.

[1] اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ص228.

[2] ديوان عنترة بن شداد، عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 2004م، ص63.

فاللون الأزرق هو لون الهدوء والسكينة، فهو لون الماء والسماء التي لا حدود لها، بوصفه يدلّ على التأمل والتفكير العميق، فهذا الشاعر كعب بن زهير يصف البازي الذي يفزع القطاة ويجعلها تسرع في سيرها خوفاً من إقدامه على اصطيادها:

شهمٌ يكبُّ القطا الكُدْريَّ مُختضب الـ أظفار حُرٌّ ترى في عينه زرقا[1]

يصوّر الشاعر مشهداً تفصيليّاً يتضمن صورة حركية يقوم بها البازي الذكي وهو يصرع القطا التي أدماها الصيد، ويستمر في ذكر تفاصيل البازي الذي تلوّنت عيناه باللون الأزرق، وهو كناية عن لون السماء الواسعة، هذا اللون الذي استدعى الشاعر للتأمل الطويل في عينيه الزرقاوين، تأمُّلاً جمالياً له علاقة مباشرة برؤية الشاعر لهذا اللون الذي يمنحه دلالة مطلقة تكمن وراءها خفايا ودلالات تتعلق بشخصية البازي التي تميزه عن غيره من الناس.

اللون الأحمر:

"الأحمر هو لون الروح، لون الشهوة، لون القلب"[2]، وهو لون الطاقة والحيوية والبهجة؛ لأنّه "يرمز إلى العاطفة والرغبة البدائية والنشاط الجنسي وكل أنواع الشهوة"[3].

ونتفاجأ حين نجد أنّ اللون الأحمر هو من الألوان المُضادة للأبيض الذي دلّ على الكرم عند الشاعر كثير عزة خلال حديثنا عن دلالات اللون الأبيض في بداية البحث، ولكننا نُلاحظ الآن وجود تناقض لهذا اللون في شعر عروة بن حزام الذي استخدم اللون الأحمر بدلالته على البخل المُناقض للكرم:

[1] ديوان كعب بن زهير، ص58.

[2] الألوان، كلود عبيد، ص74.

[3] اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ص229.

يشدّ عليها الباب أحمر لازم عليها زقاقي قرية قد آنت[1]

أتى الشاعر باللون (الأحمر) بقصد الكناية عن البخل، وهذا يدل على غزارة معجمه اللغوي، فقد حاول من خلال الكناية تحديد صفات ذلك الشخص وملامحه فجاء بهذه الصورة الكنائية بوصفها طريقة لفهم روح المعنى، وبثّ فيها رؤيته السلبية إلى ذلك الشخص البخيل.

وأحياناً يكون لون القوة والعنف، فالشاعر ابن حمديس الأندلسي يمدح صاحب الحق المعتمد بن عباد الذي يُغامر بحياته من أجل القضاء على الظلم وإظهار الحق، وذلك في قوله:

ذو يدٍ حمراءَ من قتلهمُ وهي عند الله بيضاءُ اليدِ

تقتدي الأملاكُ في العدل به وهو فيه بأبيه يقتدي[2]

نُلاحظ وجود التضاد اللوني والتناقض بين اللونين (حمراء، بيضاء)، فقد قصد أنّ يد المُعتمد حمراء كناية عن كثرة القتلى أثناء خوضه المعارك، ونزوله ساحات القتال، فتتلطخ اليد باللون الأحمر، وهو لون الدم الذي يُعدُّ سبيلاً للتخلص من الذل وطريقاً للحصول على الكرامة المُنتظرة والانتصار بعد جريان الدم، وشدة المعارك، بفضل قوة المعتمد وشجاعته، أما اليد البيضاء البريئة أمام الله فهي تدل على النقاء الذي لا تشوبه شائبة، فيده طاهرة كروحه الطاهرة البعيدة عن الظلم والعدوان؛ لأنّه رمز الحق والعدل والشهامة والرجولة.

[1] ديوان عروة بن حزام عروة وعفراء، جمع وتحقيق: أنطوان محسن الفوال، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ، ص71.

[2] ديوان ابن حمديس، عبدالجبار بن حمديس (527هـ)، صححه وقدم له: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1960م، ص140.

اللون الوردي:

أثبتت بعض الدراسات "أثر اللون الوردي على نفسية الإنسان، بأنه لون ملطف، يغمرنا بشيء من الحب والحماية، ويخفف الشعور بالوحدة والحساسية، وهو لون الحب غير الأناني"[1]، وقد يمنح هذا اللون شحنة عاطفية عميقة تدلّ على رقة صاحبها من خلال جمل رقيقة صاغها الشاعر قيس بن الملوح في تصويره ملامحها تصويراً جمالياً دقيقاً:

مُبتَّلةٌ هيفاءُ مهضومةُ الحشا مُورَّدة الخدّينِ واضحةُ الثّغرِ[2]

يُقدّم الشاعر مشهداً تفصيليّاً بالتركيز على اللقطات الجمالية التي تصف المرأة وتألقها مع رقة خصرها وضموره؛ لأنّ للخصر دلالات جمالية وجاذبية في إظهار تقاطيع الجسد، فقد بدا إعجاب الشاعر وذهوله حين وصف خدودها الوردية عن طريق تصوير لون وجنة الخد التي ارتسمت على وجهها، وعكست بُعداً جمالياً أعطى صورة لطيفة رقيقة شفافة ترتقي بهذه المرأة إلى مدارج الكمال والإشراق.

يُعطي اللون الوردي أبعاداً دلالية مُتألقة مُشعّة تمنح خيالنا الفياض انبهاراً يُوحي بفطرية التذوق الجمالي للصورة الوردية الواقعية التي تحمل كناية عن توهُّج خدودها واحمرارها، وهي صورة جمالية تُعزز داخلنا إحساساً إنسانياً رقيقاً تهتزّ له أوتار قلوبنا وتُثير أذهاننا أمام هذا اللون المُشرق المُتوهج الذي يزيد إحساسنا بحرارة الانفعال وإشعال العاطفة.

[1] الألوان، كلود عبيد، ص129.

[2] ديوان مجنون ليلى قيس بن الملوح، جمع وتحقيق وشرح: عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، ص155.

اللون البني:

اللون البني هو اللون الأحمر المُعتم الذي تشوبه صفرة، وله معانٍ مُختلفة، وخاصة في لغة الأحلام، وتفسيره "خداع ومكر"[1]، أما في الواقع فهو لون التراب والأرض مصدر الخير والعطاء، وله دلالات إيجابية متنوعة، كما "يقلّ فيه النشاط الضاغط الموجود في الأحمر، ويتجه إلى أن يكون أكثر هدوءاً"[2]، وربما يكتسب هذا اللون أبعاداً جمالية كثيرة توحي بالراحة والتفاؤل، وهذا ما نجده في قول الشاعر أثناء وصفه المرأة بتفاصيلها الدقيقة:

امرأة مضوّأه

فستانها الحرير فضفاضٌ بلا مئزرْ

ذراعها الوردي رطبٌ، ناعمُ المنظرْ

كأنّما الصيف عليها وحدها .. أمطر!

ولحظها ما أبرأه

وخطوها صيحة رملٍ في انسحاب خُفّها

وشعرها البني ناعمٌ على أكتافها

وخصلة من شعرها على الجبين نافرة

لكنها

لم تك إلا عابره![3]

---

[1] الصورة الشعرية والرمز اللوني، يوسف حسن نوفل، دار المعارف، القاهرة، ص22.

[2] اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ص186.

[3] ديوان أحمد عبدالمعطي حجازي، أحمد عبد المعطي حجازي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م، ص239.

صوّر الشاعر اللقطات الجمالية للمرأة في صورة حركية تصف خطواتها وصفاً دقيقاً، مُنتقلاً إلى الصورة البصرية التي ربط فيها بين الشعر واللون البني، فرسم صورة رائعة للشعر الناعم المُنسدل على أكتافها، وهو رمز ساحر للجمال الأنثوي، فاللون الترابي للشعر هو مركز الجمال والتأمل حيث يمنح الشاعر شعور الإعجاب بالمرأة ذات الشعر البني، فحقيقة جمال هذه المرأة تكمن في روعة شعرها الذي أصبح مدعاة للتباهي عند تلك الأنثى التي افتُتِنَ بها الشاعر؛ لأنّ هذا اللون مُحبب للنفوس، وهو كناية عن الحيوية والأمل والنماء والتجدد، بوصفه لون الحياة ولون الأرض الترابي كناية عن عراقة هذه المرأة وأصالتها، فقد جعل الشاعر يعيش حالة شعورية توحي بالذهول والانبهار أمام اللون البني للشعر المُظلم الذي يمنحنا فسحة جمالية نُشارِك فيها الشاعر مشاعره، فنتذوق معه اللذة والمتعة عند رؤية هذا المشهد الذي يجذب نفوسنا ويُثير أحاسيسنا.

وقد تتداخل الألوان في الشعر العربي وتتنوع وتتشابك فيما بينها، وجعل الشعراء من اللون أرضية ملهمة تُثير الخيال وتوقظ المشاعر، وفي هذا دلالة على وجود الوعي الثقافي والفني عند الشعراء الذين يستخدمون اللون كرموز يُعبّرون عن رؤاهم ومواقفهم تجاه الواقع الذي يعيشون فيه.

واللون أسلوب تعبيري جمالي بوصفه هاجس ذاتي يُعبّر عن تجربة واقعية، فهو يتغلغل في ثنايا الكلام، فيُمثّل قوة إيحائية تحمل أبعاداً فكرية لها دلالات مباشرة فتتداخل الألوان فيما بينها؛ لتصوّر تأسّف الشاعر على مرحلة شبابه، وذلك كما ورد في شعر المعري:

وابيضّ ما اخضرَّ من نبت الزمان وكل زرع إذا ما هاج محصودُ[1]

يتحسّر المعري على أيام الشباب المليئة بالقوة والنشاط والحيوية، فيتشاءم من قدوم الشيب الذي يُنذره بالموت واقتراب الأجل، ويجعله يعيش حالة توتر وخوف من الزمن،

[1] ديوان اللزوميات، أبو العلاء المعري، 240/1.

فيُصبح ضعيفاً جسدياً ونفسياً، وتتلاشى قواه التي عبّر عنها باللون (الأبيض) وهو رمز الشيب، ففي قوله (ابيضَّ) دلالة على دخوله مرحلة الشيخوخة، أمّا (اخضرَّ) فهو دليل على وداعه لأيام الفتوة والتفاؤل.

إنّ هذا التقابل الكنائي يدخل ضمن فن التدبيج[1]، فنُلاحظ التقابل بين (ابيضَّ واخضرَّ)، أي بين (الشيخوخة والشباب)، أو بين (الضعف والقوة)، وهو تقابل كنائي يرمز إلى معاناة الشاعر التي رمز إليها بهذه الألوان المُختلفة، فقد حمل الأبيض دلالات سلبية تناقض اللون الأخضر الذي رمز للخصوبة والنماء والتجدد، ويدلّ على قوة الشباب التي رحلت دون عودة، فيُصوّر عمق المعاناة الروحية الممزوجة بألوان الحزن والأسى.

ويفتخر المتنبي بنفسه، فيذكر مناقبه ضمن لغة تعبيرية جمالية يرمز إليها بالألوان، وذلك في قصيدته (ما أحد فوقي ولا أحد مثلي):

وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي أرتك احمرار الموت في مدرج النمل[2]

إنّ (خضرة) الحياة والنعيم الذي يعيش فيه الشاعر يكمن في لون النصل (الأخضر) الذي يستخدمه هذا البطل في سبيل حياة رغيدة بعد خوضه المعارك؛ لأنّ لفظ (احمرار) يدلّ على شدة الموت وبذل الدماء والإقدام والشجاعة.

ظهر فنّ التدبيج[3] من خلال ورود الألوان (خضرة، احمرار) التي تتضمن معانٍ كنائية مُتقابلة، فالاحمرار ممزوج بالدم الذي يُعدّ سبيلاً لعيش حياة الخصب والنعيم.

---

[1] التدبيج "داخل في الطباق؛ لأنّ الألوان أمور متقابلة، فهي جزئيات الطباق، وخصّت باسم (التدبيج) لتخيل وجود ألوان فيها"، معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1998م، ص219.

[2] ديوان المتنبي، ص14.

[3] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، الدار العربية الموسوعات، الطبعة الأولى، بيروت، 2006م، 118/2.

فقد صورت الشاعرة نازك الملائكة حالة قلبها تصويراً دقيقاً مُعبّراً عن استجابته الطبيعية من خلال تداخل الألوان وتشابكها فيما بينها، وذلك في قولها:

ما بين الأحمر والأصفر والأخضر

تضحك يا قلبي، تبكي، تتذكر

وتسيرُ تسيرُ إلى أين

المسعى والظلمةُ ممدوده

والأرض المنشوده

ومروج الفستق والعنبرْ

ونهور الكوثرْ[1]

تمتلك الشاعرة قدرات مُدهشة تُشعِرنا بإدراكها الحسي لهذه الألوان النابعة عن نفاذ البصيرة وصدق العاطفة التي تتغير بتغير الظروف والأزمان، فقد تشكلت رؤية الشاعرة لحالة قلبها من خلال المؤثرات النفسية التي عاشتها، فناسبت بين ثلاثة ألوان (الأحمر والأصفر والأخضر)، ضمن فن مراعاة النظير[2] في عملية تناسب دلالي يوضح التناظر بين الألوان (الأحمر والأصفر والأخضر)، وكأننا نسمع بالأحمر فنتهيّأ ذهنياً لمعرفة ما سيأتي بعده من ألوان، ليكتمل هذا التناسب عند الجمع بين هذه الألفاظ في حقل دلالي واحد هو (حقل الألوان) الذي نلاحظ فيه المتناسبات اللونية، وتتجاور مع بعضها عن طريق التآخي فيما بينها.

[1] الأعمال الشعرية الكاملة، نازك الملائكة، الجزء الثاني، المجلس الأعلى للثقافة، 2002م، ص465.

[2] مراعاة النظير "جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أي وجه من الوجوه"، صناعة الكتابة علم البيان علم البديع، رفيق خليل عطوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م، ص131.

تُخاطب الشاعرة قلبها عن طريق التجريد[1]، فتجرد منه شخصاً آخر تخاطبه، وتبثه مشاعرها من خلال هذا الأسلوب الذي يُخفي وراءه صراعاً داخلياً عميقاً فتخفف من الضغط النفسي عن طريق صوتها الداخلي الذي استعانت به، فنادت قلبها؛ لتُخرِج أحاسيسها الكامنة في نفسها، ففي اللون (الأحمر) دلالة على تعطشها وشوقها وقوة عاطفتها، ورغبتها في قصة حب تعيشها، ويتضح ذلك من خلال الدفقات الناتجة عن شحنات مشاعرها الصادقة، وحاجتها التي عبّرت عنها من خلال بوح وجداني يفيض به قلبها، ثم أتبعت كلامها باللون (الأصفر) الذي يدل على بعثرة الخواطر وتشتيت الأحاسيس ومرحلة الضياع نتيجة العادات والتقاليد التي تمنعها من تحقيق رغبتها، وهذا يسبب لها حالة الذبول والاصفرار والضعف واليأس، فيعتري قلبها القلق الممزوج بالحيرة والحسرة والألم، ولكنّ الشاعرة تستعيد قوتها، فتُنهي ألوانها باللون الأخضر الذي يدلّ على التفاؤل والتجدُّد والاستمرارية، والأمل بحياة رغيدة يسودها الحب والسعادة والسلام.

ويستخدم عز الدين المناصرة مجموعة ألوان مختلفة تحمل دلالات متنوعة وتعكس مشاعر الحزن والأسى التي يجيش بها صدر الشاعر عند استشهاد صديقه الفلسطيني:

لن يفهمني أحدٌ غير الزيتونْ:

شجرٌ كضفائر أمّي يحميني من مطر الأيام الصعبهْ

أخضرُ، أخضرُ كمياه خليج العقبهْ

وجذوري تنغرسُ وتمشي من بحر الملحِ

إلى بحر الليمونْ

كان شجاعاً صلباً كالزيتونْ

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص274.

قتلوا في الليل رفيقي

بالأخضر كفّناهُ

بالأحمر كفّناهُ

بالأبيضِ كفّناهْ

بالأسود كفّناهُ

بالأحمر كفّناهُ

بالمثلّث والمستطيلْ

بأسانا الطويل

وعلى الأكتاف حملناهُ[1]

يبدأ الشاعر كلامه بأسلوب خبري من الضرب الابتدائي، وهو أسلوب خالٍ من المؤكدات، فلا يستطيع أحد إنكار ما يقوله خلال وصفه اخضرار شجر الزيتون الذي يُشعره بالأمان كضفائر الأم الحنون التي تحمي صغارها وتضحي من أجلهم، فتعطيهم كل ما بوسعها بدون مقابل؛ لأنّ اخضرار أشجار الزيتون (أخضر، أخضر) كناية عن الخصب والنماء والتجدد كتجدد أمل الشاعر الفلسطيني وتفاؤله في التخلص من الظلم والعدوان الذي يسود أرض الليمون، ثم ينتقل إلى وصف حادثة مقتل رفيقه الذي كان صامداً كصمود شجر الزيتون؛ لأنّ هذه الأشجار توحي بالشموخ الذي يدلّ على شموخ أبناء الشعب الفلسطيني وشجاعتهم، فيُصوّر ثقل المصيبة وهول المصاب والفجيعة بروح

[1] ديوان عزالدين المناصرة، الطبعة الأولى، 1990م، دار العودة، بيروت، ص344-345.

موجوعة، مُخرِجاً الحزن الذي يعتصر قلبه إثر فاجعة الموت واستشهاد البطل في ظلام الليل الدامس.

يرسم الشاعر عزّالدين صورة إنسانية مؤثرة لحالة الظلم والعدوان التي تعرّض لها صديقه الفلسطيني إثر جريمة مرعبة ارتكبها الصهاينة بحق هذا الشاب البطل، معبّراً عن تجربة واقعية معيشة ممتزجة بألوان الأسى والالتياع لدى رؤيتنا مشهد الشباب وهم يتقدمون حاملين ألمهم وأملهم، فيكفّنون رفيقهم الشهيد بالعلم الفلسطيني الذي رمز إليه من خلال الألوان، فاللون (الأخضر) يرمز إلى النماء والخصب والوفرة، أما (الأحمر) فهو لون مرتبط بالدم، ويحمل دلالات العزة والقوة بوصفه ممتزج بدموية البطولات والتضحيات، ويرمز اللون (الأبيض) إلى التفاؤل والأمل بحلول السلام بعد هذه التضحيات، ويُعبّر اللون (الأسود) عن الحزن والموت والفراق والظلام؛ لأنه ينقل صورة الواقع المحسوس والحزن العميق الذي يعيشه أبناء الشعب الفلسطيني.

لقد استطاع الشاعر أن يُعبّر عن عمق المعاناة الروحية لأبناء الشعب الفلسطيني ومواقفهم البطولية من خلال تصوير مشهد الموت الذي رسمه بريشة قلبه الملونة التي حملت دلالات مباشرة وغير مباشرة.

نتائج البحث:

1-لم يكن للتطور الزمني عبر العصور دوراً كبيراً في تغيير دلالة اللون عند الشعراء الجاهليين والأمويين والعباسيين والأندلسيين والمعاصرين، وإنّما كانت لمواقفهم النفسية والجمالية والذاتية أثر عميق في تطور هذه الدلالة، فعلى سبيل المثال انتقال معاني اللون الأبيض من التفاؤل والصفاء والنقاء والإشراق إلى التشاؤم وتقدم السن والشيخوخة ودنو الأجل بالإضافة إلى معاني العمى وفقد البصر.

2-وظّف الشعراء العرب الألوان توظيفاً باطنياً معبّراً عن تصوراتهم ورؤاهم وأحاسيسهم وانفعالهم العاطفي والفكري.

3-جعل الشعراء من اللون متنفساً يبثّون فيه مشاعرهم وأفكارهم، بوصفه قوة روحية لها تأثيرات نفسية على الإنسان.

4-تتغير دلالات الألوان تبعاً لتغيّر الحالة الشعورية التي تعبّر عنها هذه الدلالات، وذلك كتناقض معاني الأبيض والأسود حسب ما تقتضيه طبيعة السياق الشعري للشاعر.

5-وردت الألفاظ اللونية عفو الخاطر وفقاً للمؤثرات النفسية التي تسببت في استجابة فطرية نابعة عن الإدراك الحسيّ للتذوق الفني اللوني.

6-حملت الألوان أبعاداً فكرية ونفسية ورمزية وعلمية واجتماعية لها مضمون جمالي، بوصفها أساليب تعبيرية تتفق مع الحالة النفسية للشعراء.

7-تأثر الشعراء باللون فانفعلوا به وتفاعلوا معه؛ لأنّه يرتبط بحياتهم ارتباطاً عميقاً، بوصفه مصوّراً لواقعهم وحالاتهم بما يحمله من أبعاد نفسية ذات دلالات متنوعة.

8-طوّر الشعراء العرب دلالات المفردة اللونية المعبرة عن حالاتهم، فكشفوا عن دور الألوان في بيان الذائقة الجمالية التي تؤكد وعيهم الجمالي خلال تجسيدهم لواقعهم وتصوير رؤاهم للحياة.

قائمة المصادر والمراجع:

-إسماعيل، عزالدين، التفسير النفسي للأدب، الطبعة الرابعة، مكتبة غريب.

-الأسود، كثير بن عبدالرحمن، ديوان كثير عزوة، جمعه وشرحه: إحسان عباس، 1391هـ، دار الثقافة، بيروت.

-حجازي، أحمد عبدالمعطي، ديوان أحمد عبدالمعطي حجازي، 1998م، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة.

-حزام، عروة، ديوان عروة بن حزام عروة وعفراء، جمع وتحقيق: أنطوان محسن الفوال، 1416هـ، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت.

-حمديس، عبدالجبار، ديوان عبدالجبار بن حمديس (527هـ)، صححه وقدم له: إحسان عباس، 1960م، دار صادر، بيروت.

-زهير، كعب، ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدم له: علي فاعور، منشورات محمد علي بيضون، 1417هـ، دار الكتب العلمية، لبنان.

-شداد، عنترة، ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، 2004م، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت.

-صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

-طبانة، بدوي، معجم البلاغة العربية، 1998م، الطبعة الثالثة، دار المنارة للنشر والتوزيع.

-عبد ربه، أبو عمر أحمد، ديوان ابن عبد ربه، جمعه وحققه: محمد رضوان الداية، 1979م، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

-عبدالغني، خالد محمد، سيكولوجية الألوان "دلالات التفضيل لدى العاديين والمرضى النفسيين والفئات الخاصة"، 2015م، الطبعة الأولى، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن.

-عبدالوهاب، شكري، الإضاءة المسرحية، 1985م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-عبيد، كلود، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، دلالتها)، مراجعة وتقديم: محمد حمود، 1434هـ، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

-عطوي، رفيق خليل، صناعة الكتابة علم البيان علم البديع، 1989م، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين.

-عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، 1997م، الطبعة الثانية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة.

-القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن الخطيب القزويني (739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، 2003م، الطبعة الأولى، وضع حواشيه: محمد إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

-القيس، امرؤ، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 1389هـ، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

-كيسان، إسماعيل بن القاسم بن سويد، ديوان أبي العتاهية، 1406، كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر.

-المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي، ديوان المتنبي، 1983م، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

-المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

-المصري، ابن أبي الإصبع (654هـ)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وإعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، 1995م، الطبعة الثانية، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة.

-مصطفى، حمدان، أنهر البلاغة وحسن الصنيع في علمي المعاني والبديع، 2009م، الطبعة الأولى، شركة نوابغ الفكر، القاهرة.

-مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 2006م، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت.

-المعري، أبو العلاء، ديوان اللزوميات، تحقيق: أمين عبدالعزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

-الملائكة، نازك، الأعمال الشعرية الكاملة، 2002م، المجلس الأعلى للثقافة.

-الملوح، قيس، ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح: عبدالستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة.

-المناصرة، عزالدين، ديوان عز الدين المناصرة، 1990م، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت.

-نوفل، يوسف حسن، الصورة الشعرية والرمز اللوني، دار المعارف، القاهرة.

-اليمن، وضاح، ديوان وضاح اليمن، جمعه وقدم له: محمد خير البقاعي، 1996م، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.

تعليل التسمية في القاموس المحيط

طالبة الدراسات العليا: سلام أبو الروس كلية الآداب – جامعة البعث

اشراف الدكتورة: أمينة أيوبي

الملخص :

المعنى هو المرام الأوّل للمعجميّ، و أهم ما يرنو إليه مستعملو المعاجم مؤلفين وقاصدين وكان لتحديد هذا المعنى والتّعبير عنه طرقٌ عدّة سلكها أصحاب المعاجم في شرح ما ضمّنته معاجمهم من جذور لغويّة ، منها التّعبير عن المعنى بالتّرجمة و الاشتقاق والسياق اللّغويّ والرّمز والنّظير وتعليل التّسمية وغيرها من الطُّرق المتَّبعة في المعاجم ،ويتناول هذا البحث ظاهرة تعليل التَّسمية ودورها في التَّعبير عن المعنى .

وجعلت ميدان هذا البحث القاموس المحيط فتناولت قضيَّة تعليل التَّسمية فيه ، وتقصَّيت ملاحظ التَّعليل في جميع أبوابه ، فألفاظ العرب معلَّلة لم توضع عشوائياً ، وهذه العلَّة جامعةٌ بين اللَّفظ ومعناه ، فالمعنى مشتقٌّ من المُسمَّى إمَّا لحالٍ معينةٍ أو لمزيةٍ غالبةٍ وضِعَ لها هذا اللَّفظ دون غيره .

الكلمات المفتاحيَّة: (تعليل التَّسمية . العلّة . المعنى)

Explanation of the label in the surrounding dictionary

Summary:

The meaning is the first aim of the lexicographers, and the most important thing that the users of dictionaries, authors and intendants, aspire to. To define this meaning and express it, several methods were used by the lexicographers in explaining the linguistic roots included in their dictionaries, including the expression of the meaning by translation, derivation, linguistic context, symbol, counterpart, justification of the name, and others. The methods used in dictionaries, and this research deals with the phenomenon of explaining the name and its role in expressing the meaning

And I made the field of this research the surrounding dictionary, so I dealt with the issue of justification of the name in it, and investigated the note of reasoning in all its chapters

Keywords: (explanation of the name - cause - meaning)

المقدّمة:

تعدَّدت قضايا اللُّغة وتنوَّعت فبحث علماؤها في قضاياها المتعدّدة والمتنوِّعة على مرّ الزَّمان و أنتجوا مؤلّفات و أبحاثاً أسهمت في معالجة كثير من القضايا أو تسليط الضّوء على بعض منها ، والدّلالة هي قضيّةٌ من تلك القضايا ظهرت أولى بذورها في التّراث العربيّ ، وظاهرة تعليل التّسمية وكيفيّة التّعبير عن المعنى تتّصل بالدّلالة اتّصالاً وثيقاً لذلك اخترناها مبحثاً وخصصنا العمل بالقاموس المحيط فالمعنى الذي يؤدّيه اللّفظ وفقاً لهذه القضيّة ملازم له لا ينّفك عنه بحال فالمسمّيات عند العرب تختلف وفقاً لاختلاف كثير من العوامل ولا سيّما العوامل الفكريّة والاجتماعيّة في كلّ عصر وزمن ، والقاموس المحيط من المعاجم العربيّة الّتي انتشرت في ثناياها ملاحظ تعليل التّسمية من خلال التّعبير عن المعنى بتعليل تسمية اللّفظ .

وفي هذا البحث درست قضيّة تعليل التّسمية في القاموس دراسة تطبيقيّة إحصائيّة مشتملة على إحصاء هذه الظّاهرة في جميع أبواب القاموس.

أهداف البحث:

1. تهدف الدّراسة إلى إبراز دور تعليل التّسمية في التّعبير عن المعنى و فهم مفردات اللّغة فهماً دقيقاً.

2. إبراز العلاقة التي تربط بين تعليل التّسمية والاشتقاق اللّغوي للفظ.

3. تحديد الأمور التي ينبغي الاحتكام إليها عند تفسير المعاني .

مشكلة البحث:

تتمثّل مشكلة البحث في صعوبة إحصاء الجذور اللّغويّة في القاموس المحيط وتتبع قضيّة تعليل التّسمية بين هذه الجذور فهو قاموس غنيٌّ بالجذور اللّغويّة .

منهج البحث:

للوصول إلى الأهداف المرجوة من هذه الدّراسة استعنت بالمنهج الوصفي، وبأدواته الخاصّة من تحليل وتفسير وإحصاء وتوثيق.

أولا: مفهوم تعليل التّسمية :

التّعليل:هو ذكر علّة تسمية الشيء باسمه ،أي وجه هذه التّسمية وعلّة التسمية ، وهي عين الملحظ الاشتقاقي الذي من أجله يسمّى الشيء باسمه المعين.[1]

والتّعليل هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر ، و انتقال الذهن من المؤثر إلى الأثر وهو إظهار علية الشيء سواء كانت تامّة أو ناقصة[2]

أما التّسمية فهي كما يرى الرّازي في قوله عندما فرّق بين التّسمية والاسم :((عبارة عن تعيين اللّفظ المعين لتعيين الذات المعينة ، وذلك التّعيين معناه قصد الواضع و إرادته ، وأما الاسم فهو عبارة عن تلك اللفظة المعينة))[3]

1 ـ علم الاشتقاق نظريا وتطبيقيا، د محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ، 2013 م، ص68

2 . كتاب التعريفات ، الشريف الجرجاني ص علي بن محمد السيد، تحقيق /محمد صديق المنشاوي،3 ، دار الفضيلة، القاهرة 2004م، 61 /1

3 . مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606 هـ) الناشر :دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة – 1420 هـ، الجزء (1 ، ص 118)

فتعليل التّسمية تركيب إضافي والتّسمية هي السمة الغالبة في المُسمّى الذي وضع من أجلها اللّفظ و ارتبط بمعناه دون غيره من الألفاظ.

ويعد تعليل التّسمية من الطّرق التي ذكرها العلماء في حديثهم عن المعاجم ، وتتبّعهم الطّرق التي اتّبعها أصحابها في شرح المعاني وتفسير ألفاظهم .

أهمية تعليل التّسمية في الدّراسات اللّغويّة:

يكشف تعليل التّسميّة عن كيفيّة حياة العرب وطرق تفكيرهم في مفردات لغتهم و إطلاق التّسميات على الأشياء ، فالألفاظ العربّية تدلّ على تفكير العرب ونظرتهم إلى الأشياء ذلك أن في تسميتهم لها باسم معين ، وفي إطلاق لفظ دون غيره عليه و اختيار صفة من صفاته ما يدل على اتجاههم في التفكير وفهمهم للأشياء ونظرتهم إليها .[4]

ويساعد هذا التعليل في معرفة المعنى الذي اشتق منه الاسم ، وكيفيّة تحقيق هذا المعنى في المُسمّى وكيف ارتبط الاسم بمُسماه في أوّل الأمر. [5]

تعليل التّسمية عند القدماء:

اشتهرت قديماً مقولة (الأسماءلا تعلل)، وهذا ليس بصحيح فالأسماء تعلّل والعرب لم تضع

لفظاً إلا لعلّة فيه حددته دون غيره ، وكانت هذه العلّة الرّابط الوثيق بين اللّفظ ومعناه

فألفاظ العربيّة معلّلة ، و ظهر هذا التّعليل عند العرب منذ الجاهليّة وقبل نزول القرآن

4. فقه اللغة و خصائص العربية محمد مبارك ، دار الفكر 1964، ص 309

5 . علل التسمية في المحكم لابن سيده ، فاطمة عيد عبد الله الثبيتي / رسالة ماجستير ص 4

وتَشعُّب الدّراسات بعده ، فكثيراً ما كان العرب في الجاهليّة يطلقون أسماءً و ألفاظاً

تكون لعلّةٍ أو صفةٍ ظاهرةٍ حملتهم على هذا الإطلاق ، ونجد هذا في ألقاب كثير من الشعراء مثل: (تأبّط شراً و السّليك بن السّلكة و الحطيئة) وغيرهم من الشعراء الذين غلبت ألقابهم على أسمائهم ، لعلة ما.

فهذه القضيّة اللّغويّة ضاربة الجذور في العربيّة فَطن لها كثير من العلماء،فأفردوا لها

المؤلفات و الأبحاث، وكان المجال الخصب لها علم النّحو ما أبرزه من ظواهر خلافيّة فوضِعت الكتب و الأبحاث في تبيين علل النّحو و ظهرت عناوين لمؤلفات ، (نحو : علل النّحو ،والإيضاح في علل النّحو) كما ظهر ذلك في جوانب من مؤلفات لغويّة كالمعاجم وكتب فقه اللّغة والدّراسات المندرجة تحته .[6]

وسنشير إلى بعض العلماء الذين كان لهم الفضل في ذكر علل تسمية الألفاظ ، ونذكر بعض الأقوال المأثورة عنهم التي تشير إلى ذكرهم العلّة ولا نقصد بعملنا الاستقصاء.

ومن هؤلاء العلماء ابن الأعرابي ت 231هـ:

إذ يقول قاعدته المشهورة :((الأسماء كلّها لعلّة خصّت العرب ما خصّت منها ومن العلل ما نعلمه منها ونجهله))[7]

ويذهب ابن الأعرابي إلى أنّ مكة سميت مكة لجذب النّاس إليها، والبصّرة سميت البصّرة للحجارة البيض الرّخوة بها، والكوفة سميت الكوفة لازدحام النّاس بها من قولهم تكوَّف

6 ـ أشار العلماء إلى أن أول من وضع مؤلف في العلل هو قطرب ت 206هـ ، ثم المازني ، وابن السراج وغيرهم الكثير، ينظر تفصيل ذلك ، العلل النحوية في كتاب سيبويه ، أسعد خلف العوادي ، الطبعة الأولى 2009م ، ص 24 .

7 .المزهر في علوم اللغة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق : فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى 1418هـ . 1998م ص1/ 314

الرَّمل تكوفاً إذا ركب بعضه بعضاً ، والإنسان سمي إنساناً لنسيانه والبهيمة سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتميز.[8]

ابن دريد ت 321هـ: يدحض ابن دريد رأي من أنكر تعليل التّسمية ، و ذلك بردّه على الشعوبيّة طعنهم باللّسان العربيّ فيقول في كتابه الاشتقاق :((وكان الذي حدانا على إنشاء هذا الكتاب أنّ قوماً ممّن يطعن على اللّسان العربيّ ، وينسب أهله إلى التّسمية بما لا أصل له في لغتهم و إلى ادّعاء ما لم يقع عليه اصطلاح من أوليتهم ، وعدوا أسماء وجهلوا اشتقاقها ولم ينقذ علمهم في الفحص عنها ، فعارضوا بالإنكار)) [9]

و بين مذاهب العرب في تسمية أبنائها بقوله أيضاً:((واعلمْ أنّ للعرب مذاهب في تسمية أبنائها، فمنها ما سمَّوه تفاؤلاً على أعدائهم نحو غالب، وغَلاّب، وظالم، وعارم، ومُنازِل، ومُقاتِل، ومُعارِك، وثابت، ونحو ذلك. وسمَّوْا في مثل هذا الباب: مُسهِراً، ومُؤرِّقا، ومصبِّحا، ومنبِّها، وطارقاً.

ومنها ما تفاءلوا به للأبناء نحو: نائل، ووائل، وناجٍ، ومُدرِك، ودَرَّاك، وسالم، وسُلَيم، ومالك، وعامر، وسعد، وسَعِيد، ومَسْعَدة، وأسعَد، وما أشبه ذلك.

ومنها ما سمِّي بالسِّباع ترهيباً لأعدائهم: نحو: أسد، وليث، وفَرَّاس، وذِئب، وسِيد، وعَمَلَّس، وضِرغام، وما أشبه ذلك.

ومنها ما سمِّي بما غلُظ وخشُن من الشّجَر تفاؤلاً أيضاً نحو: طلحة، وسَمُرة، وسَلَمة، وقَتَادة، وهَراسة، كلُّ ذلك شجرٌ له شوكٌ، وعِضاهٌ.

8 . المصدر السابق نفسه، ص 315/1

9 الاشتقاق أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)،تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1411 هـ – 1991 م، ص1/ 4 .

ومنها ما سمي بما غُلظ من الأرض وخشُن لمسُه وموطِئُه، مثل حَجَر وحُجَير، وصَخْر وفِهر، وجَندل وجَروَل، وحَزْن وحَزْم)).[10]

الزجاجي ت340هـ :

يقول في باب ذكر العلة في تسمية هذا النوع من العلم نحواً:((إن سأل سائل فقال:مالسبب في تسمية هذا النّوع من العلم نحواً ولم حكم به ؟ قيل له : السبب في ذلك ما حكي عن أبي الأسود الدّؤلي أنّه لمّا سمع كلام المولدين بالبصرة من أبناء العرب أنكر ما يأتون به من اللّحن لمشاهدتهم الحاضرة وأبناء العجم ، وأنّ ابنة له قالت له ذات يوم : يابَه ما أشدُّ

الحرّ، فقال لها : الرّمضاء في الهاجرة يابنيّة فقالت له :لم اسألك عن هذا إّنما تعجبت من شدّة الحرّ، فقال لها : فقولي إذاً ما أشدَّ الحرَّ، ثم قال: إنّا لله فسدت ألسنة أولادنا....فوضع كتاباً فيه جمل العربيّة ، ثمّ قال لهم : انحوا هذا النحو ، أي اقصدوه ، والنّحو القصد ، فسُمّي لذلك نحواً))[11]

وقد يغلب الاسم أو الصّفة أو اللّقب على شيء فيعرف به خاصّة دون غيره ممّن هو في معناه .[12]

10. الاشتقاق، ابن دريد الأزدي 6/1

11 . الإيضاح في علل النحو، الزجاجي أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق، تحقيق /مازن– المبارك،1 ، دار النفائس، بيروت، 3929م،ص89

12 . المصدر السابق نفسه ، ص 90

وممّا سبق نجد أنّ العرب لم تستعمل لفظاً ، أو تجعله في مقام دون أخر إلا لعلّة حدّدته وخصّصته ، و أنّ ادّعاء من "طعن باللّسان العربيّ بأنّ العرب قد سمّت بما ليس له أصل هو ادّعاء مردود فمن العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله فمذاهب العرب في ذلك واسعةٌ وتختلف باختلاف الزّمن والثّقافة فما استعملته في العصر الجاهلي وعلّلته قد نجده في ما تقدّم بهم من العصور ولكن تختلف العلّة باختلاف التّطور الدّلالي للّفظ .

تعليل التّسمية عند المحدثين :

ومن المحدثين الذين قالوا بهذه القضيّة اللّغويّة الدّكتور محمّد مبارك في كتابه فقه اللّغة وخصائص العربيّة،فيرى أنّ العرب في وضعها للّفظ تنتزع هذا اللّفظ من صفةٍ فيه فيقول : ((تسمية الأشياء ووضع الألفاظ للدّلالة على مدلولاتها عملٌ مستمرُ في جميع اللّغات الحيّة فالإنسان لايزال يكتشف ويضع أشياء جديدة ، ولا يفتأ يطّلع على معانٍ مبتكرةٍ أو يصوغ مفاهيم حديثة ، وهو في كلّ هذه المجالات محتاج إلى ألفاظ جديدة تدل على هذه الأشياء والمعاني الجديدة ...))[13]

ونلاحظ من قوله أن وضع اللّفظ مرتبط بالتّطور الدّلالي ، فتعليل التّسمية بدأ منذ النّشأة الأولى للّغة ، واستمر مع تطورها وتطور دلالات الألفاظ مع مرور الزّمن فاللّفظ وفقاً لتعليل التّسمية يحمل أكثر من معنى ودلالة.

ويقول أيضاً في ارتباط اللّفظ بصفته :((فالعرب سمو السماء بصفة السمة والعلو، والسهل من الأرض لسهولة السير فيه ،والبادية لصفة الظهور والوضوح ...وهكذا جرت التّسمية بعد الإسلام و أحدثت ألفاظ لمعان جديدة فسميت الزكاة بلفظ يدل على النّماء ، والطّهارة

13 . فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد مبارك ، ،ص191

والتّقوى من الوقاية بالعمل الصالح ولاتزال هذه المسمّيات إلى يومنا هذا بوضع ألفاظ للمعاني الجديدة كالمكتب والمطبعة والدّراجة ، وغيرها من الألفاظ المستحدثة)) [14]

فوضع اللّفظ يقوم على استقراء مزية بارزة ، يسقط عليها اللّفظ فيرتبط بها.

ومن المحدثين أيضاً الدكتور محمّد حسن جبل الذي يرى أنّ تعليل التّسمية من أهم الأليات في تحديد الدّلالات فيقول:((فتعليل التّسمية من أهم الآليات التي تصاغ بها الدّلالات على اختلاف أنواعها وأصنافها وقد سمّاها بالصّورة الأصلية ،وتعليل التّسمية معناه ذكر علّة تسمية الشيء أي وجه هذه التّسمية وعلّة التّسمية هي عين الملحظ الاشتقاقي الّذي من أجله سمي الشيء باسمه المعين كأن يقال : إنّ القلم سمي قلماً لأنّه في الأصل عود أو قصبة قلمت.[15]

فتحديد معنى كلمة ما ،يتم بالإشارة إلى شيء معين، فمعنى كل كلمة أو عبارة أو قضية هو معنى ثابت يجب علينا إدراكه، وبهذا يقول "راسل":يرتبط الاسم بمسماه ارتباطاًوثيقاً بينما الوصف المحدد ليس كذلك ، لأننا حين نستخدم الاسم استخداماً صحيحاً يجب أن نشير به إلى شيء جزئي في الواقع ، فالاسم رمز بسيط بينما الوصف المحدد رمز مركب والاسم رمز تام بينما الوصف المحدد رمز ناقص،ونسمي الرمز تاماً حين يفيد معنى تاماً في ذاته ، ونسميه ناقصاً إذا لم يعط معنى في ذاته إنما يكتسب هذا المعنى في سياق معين" [16]

14 ـ فقه اللغة وخصائص العربية ،ص 192

15 . تعليل التسمية في المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ، مير نادية ، جامعة وهران ، أحمد بن بلة الجزائر ، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية ، العدد الثامن عشر . نيسان . 2021م ، المجلد 5 ، ص 382.

16 ـ ينظر في فلسفة اللغة، د.محمود فهمي زيدان ،دار النهضة بيروت،(1405هـ .1985م)، ص 16و 18.

ومن هذا نستخلص أنّ تسمية الأشياء ، و إطلاق الألفاظ لا يقوم فقط على الصفة التي يتفرد فيها الاسم ، بل قد تكون لعلّة متعلقة بوظيفة هذا الاسم أو خواصه.

تعليل التّسمية في القاموس المحيط دراسة تطبيقيّة إحصائيّة:

سأتناول في هذا المبحث تعليل التّسمية في القاموس المحيط ،وذلك باستقراء علل التّسمية التي أوردها الفيروز في قاموسه في الألفاظ الّتي عبّر عن معناها بعلّة تسميتها في جميع أبواب القاموس، وخصّصت جدولاً إحصائيّاً يبين العدد الكليّ لعلل التسمية في كلّ باب.

إذ بلغ العدد الكلي للجذور اللّغويّة في جميع أبواب القاموس (10293) جذراً، وتنوعت طرق شرح المعنى لهذه الجذور ، وجاء تعليل التّسمية بنسبة مقبولة قياساً مع سائر طرق التّعبير في القاموس إذ عُني القاموس باللّفظ أكثر منه بالمعنى إذ يتّسم بالإيجازوالاختصار في تعبيره عن المعنى .

جاءت ملاحظ تعليل التسمية في القاموس وفقاً لما يلي:

1. **تعليل التّسمية للقب لازم المسمى وهذا كثير عند العرب:**

نحو ما يلي: يقول الفيروز في قاموسه:

. الجذر (ت رب)، التّرب، يتْرِبُ كيمنَعُ : ع قرب اليمامة ، والحسين بن مُقبل التُّربيّ، لإقامته بِتُرْبَةِ الأمير قيزان.[17]

. الجذر (ث ق ب) ،المِثْقَبُ : كمُحَدّث: لقب عائذ بن محصن الشاعر.[18]

17 . القاموس المحيط، 62/1

18 - المصدر السابق نفسه ،63/1

- الجذر(ج ب ب)، أحمد بن عبد الله الجُبّيُّ بالضم ، ويقال : الجِبابيُّ ، لبيعه الجِبابَ.[19]

. الجذر(ح ب ب)، الحُبُّ ، ذرى حبّاً : لقب [20]

- الجذر(ط ب ب)، وطبطب : صوّت ، وطباطبا :إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ، لقب به لأنه كان يُبدل القاف طاء، أو لأنه أُعطي قباءً فقال: طباطبا يريد قباقبا.[21]

. الجذر(رأب)، الرؤبة :القطعة التي يُرأَبُ بها الإناء ، قيل: وبه سمّي رؤبة ب العجّاج[22]

- الجذر (س ؤ ر)، سُؤر الأسد: أبو خبيئة الكوفيّ، لأن الأسد افترسه فتركه حيّاً[23]

- الجذر(ز ل ج)، مُزلِج كمُقْبِل: لقب عبد الله بن مُطرٍ لقوله:

نُلاقي بها يَوْمَ الصَّباحِ عَدُوَّنا إذا أُكْرِهَتْ فيها الأَسِنَّةُ تُزْلَجُ[24]

. الجذر(أ ن ف)، وأَنْفُ الناقَةِ: لَقَبُ جَعْفَرِ بنِ قُرَيْعٍ أبو بَطْنٍ من سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ، لِأَنَّ أباهُ نَحَرَ جَزوراً، فَقَسَمَ بيْنَ نِسائِهِ، فَبَعَثَتْ جَعْفَراً أُمُّهُ، فأتاهُ وقد قَسَمَ الجَزورَ، وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ رَأسُها وعُنُقُها، فَقالَ: شَأْنَكَ به، فَأدْخَلَ يَدَهُ في أنْفِها وجَعَلَ يَجُرُّها؛ فلُقِّبَ به، وكانوا يَغْضَبونَ منه، فَلَمَّا مَدَحَهم، الحُطَيْئَةُ بقوله:

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْنابُ غَيْرُهُمُ ومَنْ يُسَوِّي بأَنْفِ الناقَةِ الذَّنَبا

19 - القاموس المحيط ،65/1

20 - المصدر السابق نفسه، 71/1

21 - القاموس المحيط،109/1

22 القاموس المحيط ،87/1

23 -المصدر السابق نفسه،403/1

24 - القاموس المحيط ،192/1

صارَ اللَّقَبُ مَدْحاً، والنِسْبَةُ: أنْفِيٌّ.[25]

. الجذر(ت ن خ): تَنوخُ: قَبيلةٌ، لأنَّهُم اجْتَمَعوا فأقاموا في مَواضِعِهم.[26]

. الجذر(ج در): والجَدَرَةُ، محرَّكةً: حَيٌّ من الأَزْدِ، سُمُّوا به لأنهم بنوا جدار الكعبة، عَظَّمَها اللهُ تعالى.[27]

يلاحظ في الجذور السابقة ما يلي:

ملاحظ تعليل التسمية بارزة في القاموس المحيط ، فالفيروز علل تسمية كل لفظ على حدة وجميع هذه الألفاظ هي ألقاب لازمت المسمى وغلبت على الاسم لعلة ما،وهذا كثير في أسماء الأعلام و للعرب مذهب واسع في هذا الشأن ، فعلة التسمية قد اختلفت من لفظ لآخر فتارة بسبب الإقامة في مكان لازم اسمه للمقيم فارتبط به ونسب إليه ، و تارة لمهنة كبيع الجباب ، أو لقصة مشهورة ذاعت عند العرب كالذي افترسه الأسد ، أو قد تُعلّل التسمية بسبب قول بيت من الشعر كما في لقب عبد الله بن مطر.

و قد يذكر الفيروز اللفظ ويكتفي بقوله : (لقب)، كما في لقب ذرى حبّاً إذ أوجز القول دون تعليل تسميته ، ولعلّ في هذا ما جاء به ابن جني في خصائصه، بأن علل التسمية قد تخفى وتجهل بقوله :((وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفي علينا ، لبعدها في الزمان عنا.....)) [28]

فهناك علل نجهلها ولا ندركها لبعدها في الزمن عنا ، وهذا ما أسلفناه في أثر الحياة الفكرية للعرب ، وتبدّلها من زمن لآخر، وقد يكون الإيجاز سبباً في عدم العناية بذكر العلّة في بعض الأحيان وهذا ما نجده مثلاً في مادة(حبّ) التي أشرنا إليها أيضاً فقد

25 ـالمصدر السابق نفسه،793/1

26 . القاموس المحيط، 249/1

27 . المصدر السابق نفسه ،362/1

28 . الخصائص،(ابن جني أبوالفتح عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص67/1

ذكرها صاحب القاموس في قوله:(لقب)، دون تعليل التسمية، في العودة إلى تاج العروس نجد العلة لهذه التسمية إذ جاء في الجذر نفسه (ح ب ب):[29]

وحُبَاحِبٌ: اسم رَجُل قَالَ:

لقد أهدتْ حُبَابَةُ بنْتُ جَلَ

لأهْلِ حُبَاحِبٍ حبلاً طويلاً

(وذَرَّى حَبًّا: لَقَبُ)رجل قال:

إنّ لها لركباً إرزبّا

كأنّه جبْهةً ذرّى حبّاً

فعدم ذكر علة التسمية في هذا الموضع في القاموس هو من باب الإيجاز الذي هدف إليه الفيروز في القاموس ، وليس لخفاء علّة التسمية .

2. تعليل التسمية بصفة مادية أو معنوية للاسم:

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

. الجذر (ر غ ا)، رغوان :لقب مجاشع ، لفصاحته[30]

. الجذر(ك ف ت)، وكَفْتَةُ: اسم بَقيع الغَرْقَدِ، لأنَّها تَكْفِتُ النَّاسَ، أو لأنَّها تأكل المدفون سريعاً، لأنَّها سبخةٌ.[31]

. الجذر(ث ل ث)، والمُثَلِّثُ، ويُخفَّف: السَّاعي بأخيهِ عندَ السُّلطان، لأنه يُهلِكُ ثلاثةً : نَفْسه، وأخاه، والسُّلطانَ.[32]

29 ـ تاج العروس من جواهر القاموس، 231/1.

30 ـ القاموس المحيط، 289/1

31 . المصدر السابق نفسه،159/1

32 . القاموس المحيط،166/1

. الجذر(س ب ح)، والسَّوابحُ: الخَيْلُ لِسَبْحِها بِيَدَيْها في سَيْرِها.[33]

. الجذر(أ ب د)، والأَوابِدُ: الوُحوشُ، لِأَنَّها لم تمُتْ حَتْفَ أَنْفِها. [34]

. الجذر(ح ج ز)، والحِجَازُ: مكةُ والمدينةُ والطائِفُ ومخَالِيفُهَا، لأنها حَجَزَت بينَ نَجْدٍ وتِهامَةَ، أو بينَ نَجْدٍ والسَّراةِ، أو لأَنَّها احْتُجِزَتْ بالحِرارِ الخَنْسِ، حَرَّةِ بني سُلَيْمٍ وواقِمٍ ولَيْلَى وشَوْرَانَ والنارِ.[35]

. الجذر (م كه)، ومَكَّهُ: أَهْلَكَهُ، ونَقَصَهُ،

ومنه: مَكَّةُ: للبَلَدِ الحَرَامِ، أو للحَرَمِ كُلِّه، لأَنَّها تَنْقُصُ الذُّنوبَ أو تُفْنيها، أو تُهْلِكُ من ظَلَمَ فيها.[36]

. مُشْكَانُ، بالضم: عَلَمٌ، ومُشْكُدانَةُ، بالضم: لُقِّبَ به عبدُ اللهِ بنُ عامِرٍ المُحَدِّثُ لطِيبِ ريحِهِ.[37]

ومما سبق نلاحظ أن علة التسمية في الألفاظ ارتبطت بصفات خلقية مادية ، مثل السوابح فعلة التسمية فيها ، لأنها تعتمد في سيرها على يديها ، أو صفة معنوية للمسمى كالفصاحة ،وطيب الرائحة، أو قد ترجع علّة التسمية إلى المكون والموقع الجغرافي للمسمى

وهذا ما نجده في أسماء الأماكن والبلدان عند العرب، مثل مكة والحجاز وغيرها.

و أيضاً تعلل تسمية المسمى الخواص الكيميائية التي يتصف بها وهذا ما علّله الفيروزآبادي في كفتة بقيع الغرقد، فعلة التسمية هنا جاءت من طبيعة السبخات الكيميائية فهي أرض ذات ملح لا تصلح للزراعة، سريعة التحليل لما يدخل في جوفها

33 . المصدر السابق نفسه،222/1

34 . القاموس المحيط 264/1

35 . القاموس المحيط508/1

36 . القاموس المحيط،954/1

37 . القاموس المحيط 953/1

وفي العودة إلى الجذر اللغوي الذي اشتق منه اللفظ نجد أن من معانيه الصرف والموت (ك ف ت):. كفَتَهُ يَكْفِتُهُ: صَرَفَهُ عن وجْهِهِ فانْكَفَتَ،والكَفْتُ، (بالفتح) : القِدْرُ الصَّغيرَةُ، ويُكْسَرُ، وتَقَلُّبُ الشيءِ ظَهْراً لِبَطْنٍ، والمَوْتُ.[38]

وهذا ما يدل على الصلة الوثيقة بين قضية تعليل التسمية ، والاشتقاق اللغوي.

3. تعليل التسمية باعتبار ما سيكون عليه اللفظ (على سبيل المجاز):

ومن ذلك ما يلي :

. الجذر :(خزِبَ)، وخُزْبى، كَحُبْلى: مَنْزِلَةٌ كانت لبني سَلَمَةَ فيما بين مَسْجِدِ القِبْلَتَيْنِ إلى المَذادِ، وغَيَّرَها صلى الله عليه وسلم وسَمَّاها: صالِحَةً، تَفاؤُلاً بالخَزَب.[39]

الجذر :(رَجِبَ)، ومنه: رَجَبٌ: لِتَعْظِيمِهِم إيَّاهُ.[40]

عبر الفيروز عن معاني هذه الألفاظ بتعليل تسميتها ، فكثيراً ما توضع الألفاظ لغاية مرجوة من الاسم المنسوب للمسمى كالفرح أو التشاؤم أو التفاؤل ، وهذا من مذاهبهم في تسمية أبنائهم فيطلقون أسماءً تحمل في معانيها القوة والشدة ،والنصر والفلاح نظراً لطبيعة الحياة الاجتماعية للعرب في بدايتها فهي حياة قائمة على التعب والمشقة، وكثرة الحروب والأعداء ،فلعلهم أرادوا في هذا أيضاً بث الخوف والرهبة في قلوب أعدائهم من خلال أسماء تحمل معنى الفروسية و شدة البأس و علة التسمية في هذا الملحظ كانت رهينة فترة زمنية محددة عاشها العرب أنذاك .

38 . القاموس المحيط ،1/ 157

39 . القاموس المحيط،79/1

40 .القاموس المحيط 88/1

الدراسة الإحصائية لتعليل التسمية في القاموس:

جاءت ملاحظ تعليل التسمية في جميع أبواب القاموس عدا بابي الهمزة والهاء، فقد خلا منه خلواً تاماً، إذ كانت هذه الظاهرة اللغوية من طرق التعبير عن المعنى التي استعان بها الفيروز ،للكشف عن معاني الألفاظ بتتبع علّة تسميتها ، وعلى الرغم من مجيء هذه القضية في باقي الأبواب إلا أنها لم تشمل جميع فصول الأبواب ، ففي باب الثاء ، جاءت مرة واحدة في فصل الثاء، وفي باب الخاء جاءت في ثلاثة فصول هي، فصل التاء وفصل الشين وفصل الميم ،وفي باب الذال أيضاً جاءت مرة واحدة في فصل النون، وهكذا في سائر الأبواب فقد تنوع العدد الكلي لتعليل التسمية في القاموس في كل باب من الأبواب

وأيضا في كل فصل من فصول هذه الأبواب جميعاً، وقد بلغ العدد الكلي لاستعمال لهذه القضية في جميع أبواب القاموس (451) مرة، وبنسبة مئوية قدرها (3%)، بالنسبة لسائر الطرق المتبعة في التعبير عن المعنى.

وفيما يلي الجدول الإحصائي لتعليل التسمية في القاموس:

الباب	عدد مرات استعمال تعليل التسمية
باب الهمزة	لا يوجد
باب الباء	(16) مرة
باب التاء	(2) مرتان
باب الثاء	(1) مرة واحدة
باب الجيم	(7)مرات
باب الحاء	(10) مرات

باب الخاء	(4) مرات
باب الدال	(28) مرة
باب الذال	(1) مرة واحدة
باب الراء	(53) مرة
باب الزاي	(4) مرات
باب السين	(17) مرة
باب الشين	(9) مرات
باب الصاد	(6)مرات
باب الضاد	(10) مرات
باب الطاء	(12)مرة
باب الظاء	(3) مرات
باب العين	(37)مرة
باب الغين	(2) مرتان
باب الفاء	(45) مرة
باب القاف	(53)مرة
باب الكاف	(12) مرة
باب اللام	(37) مرة
باب الميم	(32)مرة
باب النون	(29) مرة
باب الهاء	لا يوجد
باب الواو والياء	(21) مرة

بلغ العدد الأكبر لورود تعليل التسمية في القاموس (53) مرة في بابي الراء و القاف ويعود هذا لكثرة الجذور اللغوية في هذين البابين بشكل عام ، وكثرة الجذور التي ذكر الفيروز فيها أسماء الأعلام المشتقة عن هذه الجذور ، وبلغ العدد الأقل مرة واحدة في بابي الثاء والذال لقلة العدد الكلي للجذور اللغوية وغلبة طرق التعبير عن المعنى الأخرى على تعليل التسمية فيها ، مع خلو بابي الهمزة و الهاء من تعليل التسمية إذ لا وجود لملاحظ تعليل التسمية فيهما .

النتائج:

أُجمل نتائج هذا البحث فيما يلي:

1ـ تنوعت علل التسمية في القاموس المحيط وفقاً لحال المُسمى ،فجاءت العلل وليدة أسباب كثيرة منها العوامل الثقافية والاجتماعية أو لصفات مادية، معنوية في المُسمى أو على سبيل المجاز.

2ـ لم يكن تعليل التسمية موجوداً بكثافة في القاموس المحيط نظراً لاعتماد صاحبه الإيجاز في تأليف قاموسه ، وعلى الرغم من هذا كان لهذه الطريقة وجود واضح إذ شكل نسبة مقبولة في أبوابه .

3ـ تفاوت العدد الكلي لملاحظ تعليل التسمية بين باب و آخر في القاموس وفقاً لعدد الجذور اللغوية في كل باب ووفقاً لاتباعه كطريقة في التعبير عن المعنى .

4ـ يؤدي تعليل التسمية المعنى ويحدده ،كما يحدده السياق اللغوي للفظ ، فلا وجود للمعنى المعجمي خارج علة التسمية والسياق.

5. يرتبط تعليل التسمية ارتباطاً وثيقاً بالاشتقاق الدلالي للفظ.

6. تختلف علّة تسمية الألفاظ باختلاف تطورها الدلالي من عصر لآخر.

قائمة المصادر والمراجع.

1. الإيضاح في علل النحو،(الزجاجي)أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق، تحقيق /مازن –المبارك،الطبعة الثالثة ،دار النفائس . بيروت 1399هـ . 1979م .

2. الاشتقاق ،أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)،تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991م .

3. تاج العروس من جواهر القاموس،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)،مجموعة من المحققين دار الهداية.

4. التعريفات،(الشريف الجرجاني)علي بن محمد السيد، تحقيق /محمد صديق المنشاوي،3 ، دار الفضيلة، القاهرة 2004م.

5. التفسير الكبير مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606 هـ) الناشر :دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة – 1420 هـ، الجزء (1 ، ص 118).

6. الخصائص،(ابن جني أبوالفتح عثمان،5 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

7. علل التسمية في المحكم لابن سيد ، فاطمة عيد عبدالله الثبيتي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى1435هـ.

8. العلل النحوية في كتاب سيبويه ، أسعد خلف العوادي ، الطبعة الأولى ، دار الحامد للتوزيع والنشر 2009م.

9. علم الاشتقاق نظريا وتطبيقيا، محمد حسن جبل، الطبعة الثالثة، مكتبة الآداب،2012م

10. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، الطبعة الثانية، دار الفكر، 1964م.

11. في فلسفة اللغة ، د.محمود فهمي زيدان،دار النهضة العربية ، بيروت (1405هـ . 1985م).

12. القاموس المحيط ،(الفيروزآبادى)أبوطاهر محمد بن يعقوب،8 ، تحقيق /مكتب التراث مؤسسة الرسالة، إشراف نعيم عرقسوسي بيروت 1426هـ .2005 م.

13. المزهر في علوم اللغة وأنواعها،(السيوطي)جلال- الدين عبدالرحمن، تحقيق /فؤاد علي منصور، ط 3دار الكتب العلمية بيروت، 1418هـ1998م .

العادات والتقاليد في روايات المدينة الفاسدة" الديستوبيّة" في القرن الحادي والعشرين

أ.د. يوسف حامد جابر *

منار العرب. **

ملخّص

إنّ التّراث الشّعبي من أسس تاريخ أيّة أمّة، وهو من سمات المجتمعات، يميّز بين مجتمع وآخر، لما فيه من اختزاليّة للماضي، وصورة عن ذهنيّة جمعيّة سائدة. ويزخر تراثنا الشّعبي العربي بالمعتقدات والأمثال والعادات والتّقاليد التي حافظ . الكثير منها . على نفسه، وباد قسم آخر، وما يهمّنا في هذه الدّراسة تسليط الضّوء على جانب واحد من جوانب التّراث الشّعبي وهو العادات والتّقاليد التي من شأنها أن حطّت بمجتمعنا العربي، وأبقته مشدوداً إلى ماضيه، على أساس أنّها . أي العادات والتّقاليد . من شأنها الحفاظ على نسيج هذا المجتمع وبينيانه.

وتركّز الدّراسة على البحث في العادات والتّقاليد، تنظيراً وتطبيقاً، وتناولنا في الدّراسة الأثر السّلبي لهذه العادات والتّقاليد، والتي من شأنها أن تدمّر المجتمع وأن تبقيه مشدوداً بالماضي؛ إذ نقف في طريق التطوّر والتقدّم.

الكلمات المفتاحيّة:

المدينة الفاسدة . التّراث الشّعبي . العادات . التّقاليد

* أستاذ النقد الأدبي العربي الحديث قسم اللغة العربية. جامعة تشرين اللاذقية. سورية.

** طالبة دكتوراة في اللغة العربيّة وآدابها في جامعة تشرين . اختصاص: أدب حديث.

***Dr. Yousif Hamed Jaber**

**** Manar Al-Arab**

Summary

Folklore is one of the foundations of the history of any nation, and it is one of the characteristics of societies. It distinguishes between one society and another, because of its reductionism to the past, and an image of a prevailing collective mentality. Our Arab folklore is rich in beliefs, proverbs, customs and traditions, many of which have preserved themselves, and another part has perished. What is important to us in this study is to shed light on one aspect of the folklore, which is the customs and traditions that would have destroyed our Arab society and kept it tied to its past. On the basis that they - that is, customs and traditions - would preserve the fabric .and structure of this society

The study focuses on researching customs and traditions, in theory and practice. In this study, we dealt with the negative impact of these customs and traditions, which would destroy society and keep it tied to the past. As we stand in the way of development and .progress

key words : The corrupt city - folklore - customs - tradition

Professor of Modern Arabic Literary Criticism, Arabic Section, Tishreen University *.

** Student a PHD student in Arabic language and Literature in Tishreen University. Major: Modern Literature

أهميّة البحث وأهدافه:

تنبع أهميّة البحث في تناول العادات والتّقاليد السّلبية، من دون الوقوف عند الجيّدة منها، وتبيين مخلّفاتها على مجتمع رواية المدينة الفاسدة.

ويهدف البحث إلى الوقوف عند مجموعة من العادات والتّقاليد، وكيفيّة تناول الروائيين العرب لها، إذ انطلقوا من إيديولوجيّات واعية في تناولهم لها، تعي الأثر السّلبي للعادات والتّقاليد البالية، ويترك الرّوائي لمتلقّيه أن يبني آراءه الخاصّة تجاهها.

منهج البحث:

إنّ المنهج الذي اعتمده البحث في الدِّراسة هو منهج فرض نفسه على البحث، وهو المنهج الوصفي التّحليلي؛ إذ يقوم على رصد الظّاهرة وتحديدها، واستنطاق الدّلالات المتحقّقة داخل النّص، كما أنّه . أي المنهج . الأقدر على سبر أغوار النفس الإنسانية والعقل اللذين تصدر عنهما المنظورات الإيديولوجية.

النتّائج والمناقشات:

تعَدُّ المجتمعات ميدانًا رحبًا للدِّراسات في خلال رصد حركات ظهورها وأزمنة هيمنتها أو انتكاساتها، وسقوطها وتحليل عاداتها وأعرافها وسلوك أفرادها وتوجُّهاتهم.

تتكوَّنُ المجتمعاتُ من عناصرَ عديدةٍ أهمُّها الأفراد الذين تجمعهم عادات وتقاليد في زمان ومكان معينين، وتربطهم علاقات وظواهر اجتماعية يمتازون بها من غيرهم، فالمجتمعات تقوم على منظومات عديدة كالأخلاق، والدِّين والأعراف، والعادات والتُّقاليد، وغيرها من المنظومات التي تختصّ بكل مجتمع، وتميِّزه من غيره.

لا يمكن إغفال دراسة العادات والتقاليد في المجتمع العربي عامّة، ومجتمع الرواية بخاصّة، فهي التي تمنح رؤية عن ذاكرة جمعيّة، ومرآة عن الماضي، تعكس صورة الماضي والحاضر على حدّ سواء، كما أنّ العادات والتقاليد ناموس مؤثر في بناء شخصيّة الفرد، النّواة الاجتماعية الأساس، فالإنسان على ارتباط وثيق ببيئته ومجتمعه، وانطلاقاً من هذا المنظور سنستعرض تعريف المصطلح أكاديميّاً.

(يعُدُّ مصطلح " عادة " من المفاهيم الأساسيّة في الدِّراسات الإثنولوجيّة أو دراسات الحياة الشَّعبية، ولذللك كثيراً ما دار الجدل حول أهمّيتها، ويقول سابيرsapir" تستخدم كلمة عادة للدّلالة على مجموع الأنماط السّلوكيّة التي يحملها التّراث وتعيش في الجماعة. وذلك على خلاف أوجه النّشاط الشّخصيّ للفرد الّتي تتصف بمزيد من العشوائيّة) [1]، والعادات عبر الزمن قد تحولت إلى قانون يسري على كل فرد لا يمكن الخروج عنه، فتغدو العادات شبيهة بالقوانين الناطمة في حياة الأفراد والنَّاجزة فيها. وفي ذلك (" يقول قابس " إنّ التاريخ يثبت أنّ العادة قد تحوّلت إلى قانون، وإنّ القانون تحوّل بدوره إلى عادة ") [2]

أمّا عن التّقاليد فهي أنماط سلوكيَّة، ألفها النَّاس، ويشعرون نحوها بقدر كبير من التَّقديس، ولا يفكّرون في العدول عنها أو تغييرها) [3] وهي تعنى بقول كلمتها على الرَّأي الجّمعي، وأساس تماسك الجماعة، فمدى اعتناقها لهذه القوانين وتمسّكها به، سيفضي حتماً إلى تماسكها. وتتميّز التقاليد بصفة التّوريث، فالتوارث أهمّ خاصيَّة في التقالّيد، لأنّها لا تنتقل من جيل لأخر إلّا عن طريق التّوارث، كما أنَّها تتميَّز بميزة التحفُّظ من جانب الأسلاف المورِّثين، في نقل وتوصيل العادات التي يستحسنـوها إلى الخلف، أي التمسك بهذه العادات والحرص عليها من طرف الخلف. وهذا ما يظهر التقبل الواعي لهذه العادات القديمة، وتقبلها برغبة ممارستها مع الشّعـور بالإعجاب بها والاعتزاز بـها

[1]– هولتكرانس، إيكه: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، تر: محمد الجوهري– حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط:2، (د.ت) ص 247.

[2]– هولتكرانس، إيكه: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ص248.

[3] – مجموعة من المؤلفين: أثر مواقع التواصل الاجتماعي على عمليَّة الضبط الاجتماعي، مركز رؤية للدراسات الاجتماعية، سلسلة البحوث والدِراسات، السّعوديّة، ط:1، 2014 م، ص 66 – 67.

وهذا ما يفسّر طغيانها وسيطرتها على حياة الناس حيث تقيد سلوكهم وتتدخل في كلّ أنواع النَّشاط المتبادل بينهم [1]

فالتّقاليد هي النِّظام المسيّر لحيوات المجتمعات، من خلال القوانين النّاظمة لسلوكهم وتصرفاتهم، وهي تمثّل معتقدات القدامى الموروثة وقيمهم، على أن هذه التَّقاليد تحظى بالتّقدير والاحترام في الذَّات البشريّة، وهي أمانة يسلّمها جيل إلى لآخر لاسيَّما وأنَّها راسخة في الذاكرة الجمعية وتقتصر على المحتفظ به والمتواتر عبر الأجيال.

ومما يجمع المجتمعات العربيَّة هو تقارب العادات والتَّقاليد، والمجتمعات العربيّة ظلَّت محافظة على عاداتها وتقاليدها، فهي ترتدّ دائماً إلى الماضي، كما أنَّها تعدّ العادات والّتقاليد طابعاً اجتماعيَّاً، يحافظ على المجتمع، فهي السّور المنيع ضدَّ أي انحلال او تفلُّت عن الوسم العام للمجتمع، وكلُّ خروج عن هذه العادات هو أشبه بثورة ضد البنى الاجتماعيّة التي تُقابَل بالرَّفض. وهي بذلك خط سلطوي تلقائي في الآن نفسه، والمجتمع الذي خلق هذا الصَّنم، نصَّب منه آلهه محاطة بالقداسة وطالب أفراده بالانصياع لقوانينه، ولعلَّ هذا الارتداد إلى الماضي، كان أشبه بوضع العصي في عجلة التقدّم ومواكبة التطوّر، فتضع الفرد في طور متخلِّف؛ إذ إنّ (الإنسان المتخلِّف كائن تتحكَّم به التّقاليد وتقيِّد كلّ حركة أو انطلاقة نحو المستقبل لديه. فعنصر القهر واضح تماماً في المجتمع التقليدي الذي يمتلك أبناءه ويلغي مبادراتهم، إنه يقولبهم في صيغ جامدة وثابتة.) [2]

[1] – يُنظر: فايزة، إسعد: العادات الاجتماعيّة والتّقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، مقاربة سوسيو–أنثربولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة نموذجاً، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، إشراف أ. حجيج الجنيد، جامعة وهران، السنة الدراسية 2011–2012م، ص 122.

[2]– حجازي، مصطفى: التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء. بيروت، ط:9، 2005م، ص104.

وتزخر الرّواية العربيّة بالعادات والتقاليد – وأخصّ روايات المدينة الفاسدة – وهي بدورها كشفت عن الحياة الشعبيّة وتردِّيها، والتّمسّك بهذه العادات والتَّقاليد يعدّ نوعاً من أنواع التمسُّك بالهويّة الاجتماعيّة التي لا خروج عنها، ووصمة تخلّف عصيّة على التطوّر، عالقة في سالف الماضي، لا تتوجّه نحو المستقبل، ولذلك بقي الإنسان العربيّ ومازال يمثل الصّنف البشريّ المتخلّف كالمجتمع الذي يحيا فيه (الإنسان المتخلّف كالمجتمع المتخلّف. يتوجّه نحو الماضي ويتمسّك بالتقاليد والأعراف بدل التصدّي للحاضر والتطلّع إلى المستقبل) [1]

ولا مراء أنَّ العادات والتَّقاليد قد نشأت تلبية لحاجات الفرد والمجتمع، كما أنَّ التمسّك بها، تمنح معتنقيها نوعاً من الاستقرار الدّاخلي، وهي تبعد الإنسان عن الشّعور بالقلق ممّا هو آتٍ في مضامين المجهول، فاعتناق العادات والتَّقاليد، هي الدّرع الحصين ضد أي خطر يهدّد الإنسان في حال حدوث أيّ تغيير يطرأ على المجتمع.

وتظهر أهمية التمسُّك بالعادات والتَّقاليد فيما يخصُّ مسائل الشَّرف، فحفاظ الفتاة على عذريتها قبل الزواج من الموضوعات الحسّاسة التي تمسّ كيان وقيمة العائلة والقبيلة، وكانت المجتمعات العربيَّة ومازالت تعتبر هذا الأمر عاراً يجب غسله عن طريق إراقة الدم عبر منظور الجماعة وليس الدّين، فالدّين الإسلامي أمر بالسَّتر والتوبة، ومنع إقامة الحد إلّا بتحقيق شروط تعجيزيّة، وتزخر الرّواية العربيّة بهذا الموضوع الذي يعدّ من صلب الواقع والعلاقات خارج المؤسَّسة الشّرعية الاجتماعيّة، فنجد فخر الدِّين في رواية "مقتل فخر الدين " يكاد يفقد صوابه عند سماعه بخبر ابنة عمّه التي فقدت عذريتها مع عشيقها، إذ يقول الرَّاوي في هذا الإطار: (حين علم فخر الدين بأنَّ ليلى قد أخطأت لم يصدّق أذنيه، ولما أيقن أنَّها قد فرّطت في عرضها من فرط حبها لرزق كاد

[1]– حجازي، مصطفى: التخلف الاجتماعي، ص 103.

يفقد صوابه، وزيّن له الشيطان قتلها، وصوّر له أن الشَّرف الرفيع لا يسلم من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم. لكنّه لما استعاذ بالله استعاد هدوءه، وتوضأ وغمس رأسه في الماء البارد طويلاً) [1] سيطر الموروث الثقيل على المقتطف السَّابق، والذي تولّى مهمّة السّرد فيه راوٍ عليم، يعلم عن أبطاله أكثر ممّا يعرفون عن أنفسهم، وهذا ما بدا واضحاً عند معرفة البطل بفقدان ليلى لعذريتها، وهو أمر مخالف للعادات وللتَّقاليد وللعرف الاجتماعي، والأمر الثّاني عندما تبادرت إلى ذهنه فكرة قتلها، وقد قرنها الرّاوي بالشّيطان الذي زيّن هذه الفكرة، التي باتت عادة متعارف عليها وهي " قتل الفتاة المخطئة على يد أحد أصولها أو فروعها "، وكأنّ حياة الإنسان وموته بيد الإنسان، وهذه العادات مازالت سارية إلى يومنا هذا، وقد لجأ إليها الاقدمون، كحدٍّ من الحدود التي لا يمكن تجاوزها، لأنّ تجاوزها يكلّف الحياة. ومن هذا سبب حفاظ المجتمع العربي على العادات والتَّقاليد، لكونها تعطي شيئاً من الاستقرار الحياتي، وأماناً نفسيَّاً، فالتَّمسك بها عروة وثقى، وبقاء في دائرة آمنة اجتماعيَّاً، وتبعد الإنسان عن التَّحديّات التي يمكن أن تعترض كل خارج عنها، ولا تدع الإنسان يجابه المجهول المُقلق.

ولا مراء في أنّ العادات والتّقاليد توازي الدّستور الخفي، وهي وسيلة للضّبط الاجتماعي، ويُعرّف الضبط الاجتماعي بأنَّه(مجموعة من العمليَّات المتداخلة لكلٍّ من الفرد(الضبط الدَّاخلي) والمجتمع، تمارسها أجهزة عديدة، يستطيع بها المجتمع فرض السَّيطرة والرَّقابة على أفراده، وتنظيم سلوكهم) [2] فهو مجموعة من الأنماط الثقافيَّة والقيم والأفكار والمثل، التي بوساطتها يتمكّن أفراد المجتمع التَّغلُّب على التوتر المقلق، واستعادة التّوازن إلى المجتمع، بسبب الأفكار والجهود المبذولة للإصلاحات، ومنع سريان الخلافات، وهذا

[1] – شكري، عز الدين: مقتل فخر الدين، الدار المصرية اللبنانيّة، القاهرة، ط: 3، 2009م، ص51.

[2] – فياض، حسام الدين محمود: الضبط الاجتماعي " تعريفه، أهميته، أنواعه، آلياته، نظرياته " مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، (مكتبة إلكترونية)، ط:1، 2018م، ص6.

ما سنجده في الرواية نفسها، عند محاولة عم فخر الدين والد ليلى، أن يصلح الموقف، ويتخلَّص من الخطيئة بعرضه على البطل أن يتزوَّج بالفتاة، فيقول الرّاوي في المشهد الحواري الذي دار بين الرّجلين: (احتقن وجه فخر الدين ونفذ السّيف الملوّث في الجرح المفتوح .....

حاول التماسك حول الجرح وتمتم مع ريقه الذي لا ينبلع،

ومع ذلك تريد تزويجها لي؟

طبعا.

ولكن كيف؟

هي بنت عمِّك.

ولكنّها تحبُّه هو. أعطت نفسها له هو. سلّمت شرفها له هو.

هو لا يريد سوى الأرض والتّجارة.

ولكن العرض؟ العرض يا عمّي؟ أأنا الذي يقول لك هذا؟

الأرض هي العرض يا بني. وثق أن أحداً غيرنا نحن الأربعة لا يعرف بالموضوع.

وربّنا؟

إنّ الله ستّار حليم.) [1]

من خلال الحوار الذي دار بين البطل فخر الدّين وعمه حول إيجاد حلّ لمشكلة الشّرف، حاول العمّ تقديم اقتراح تزويج ابنته لفخر الدين، للتغلّب على الصّراع والتوتر الذي ستخلّفه الفضيحة التي ستطول العائلة، إن استفشى السّر خارج دائرة العائلة التي ستكون تحت مداس المجتمع الذي سيلطخ سمعتها، وبالتالي

[1]– فشير، عز الدين: مقتل فخر الدّين، ص53.

سيُعاد التَّوازن – في حال قبول البطل الحل – إلى الجماعة بفضل جهد العمّ لإصلاح الخطيئة، ومنع حدوث الخلافات.

على أنّنا لا نوافق على هذا الحل لاسيّما وأنّه قد ظهر من خلال الحوار نفسه أن مشكلة العمّ ليست العرض وحسب، وإنّما الأرض، فيدخل الطمع في الحوار كمحرّك أساس لفكرة تزويج الابنة للبطل خشية من انتقال الممتلكات إلى شخص من خارج العائلة، وفي ذلك فساد في عادات المجتمع التي تُلزم ابن العمّ بابنة عمّة، بغضّ النّظر عن شروط الزّواج، وعن أخذ رأي العروسين.

والملحوظ على هذه الحواريّة استعارة الدّين كنوع من الإقناع، لسرعة نفاذه إلى نفس العربي، والتحكّم في الإيديولوجيّة. إذ إن الدين كان يوظّف لخدمة المآرب الاجتماعيّة. إن كان هناك أيّ تقاطع بين الإيديولوجية الخاصّة بالأعراف والعادات والتّقاليد، وبين الدّين.

وفي منحىً آخر، أظهر روائيُّو المدينة الفاسدة احتكام النّاس إلى العادات والتَّقاليد، في إلغائيَّة للحكم الدِّيني، فالأحكام الشّرعية في الإسلام تبنى على اليقين وغلبة الظن المبني على الأدلة الواضحة، ولا تتبنّى الأحكام القائمة على الشكّ والوهم، كتقليد قتل الفتاة المحصَّنة بداعي التخلُّص من العار، وهذا ما قدّمه " خال عبده " في سرده لأحداث روايته "فسوق"، والتي تمَّ فيها قتل الفتاة "جليلة " بعد اعتقادهم . أي أهلها. بأنّها لوَّثت شرفهم، ويستفيق أهل الحي على مشهد الجثَّة، وجريان دمها عبر الأزقّة، وفي ذلك يصف الرّاوي المشهد بقوله: (تعثَّرت أقدام المصلِّين بجسدها، من غير أن ينتبهوا إلى أنَّ روحاً زهقت قبل أن ينهضوا من مراقدهم. ظنُّوا في البدء أنَّ كلباً مات، أو حماراً تخلّى عن حمولته وقرَّر الرحيل، كما يليق بحمار ملّ من النعوت المعلقة برقبته كأجراس لا تهدأ .... ومع إفصاح النهار عن حضوره، اكتشفوا جثّة أُمسكت على رأسها من جهة الرّقبة، وشُقّ بلعومها شقاً سيئاً، لإخراج روحها دفعة واحدة. ألقوا عليها شالاتهم، وتجمعوا

حولها، كقطط لا تعرف سوى المواء ...كان دمها حبلاً طويلاً تعرّج في كلِّ الأزقة بحثاً عن قاتلها، وحين تباطأ في جريانه، أوصلوا جثمانها إلى قبر غائر. ونثروا أخبار فسوقها في جنبات الحي) [1]

لقد أوضح المقتطف السّابق نفاد العادات والتّقاليد في المجتمعات العربيّة، وقد أبدع خال عبده في تصوير مشهده بانورامياً، في تنقّل عين كاميرته في المكان الذي شهد قتل النّفس البريئة، واستدعى ثيمة الحيوان، لما يلائم المشهد الذي لا يسمو إلى الإنسانيّة، ولا يمت إليها بصلة، وتكون الحيوانات أكثر رحمة من البشر الذي يسفكون الدّماء، ذلك الدّم الذي يبحث عن سافكه، وهذا الدّم أشبه بـ " حبل" وفي ذلك تلميح إلى جريمة تستدعي حبل مشنقة لمرتكبها، القبر الغائر الذي يُفصح عن ضرورة التكتّم على الفضيحة المُعلنة والملقاة على قارعة طريق أناس تعثروا بها في طريق العودة من أداء فريضة الفجر، يتوازى هذا القبر الغائر" النّسق الُضمر" ويدخل في علاقة تضاد مع نسق ظاهر وهو نثر أخبار الفسوق، ممّا يخلق مفارقة مشهديّة، خيّبت انتظار المتلقّي. وأحدثت صدمة أمام توقعاته.

فقد حرَّم الإسلام قتل النّفس الإنسانيَّة بغير حقّ، وجعلها من أعظم الجرائم وأكبر الكبائر، قال الله عز وجل في محكم تبيانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [2]، ولم نجد أي نصّ ديني في هذا الموضوع، بل وضع إنّ الدّين وضع القوانين لثبوتيّة التّهم، وفرّق الدّين في مسألة الحدِّ بين المُحصن وغير المحصن، إلّا أنّ أهل " جليلة " نفَّذوا الحدَّ المتعارف عليه في الذّاكرة الجمعيَّة، ولا مراء أنَّ قضيَّة المحافظة على الشَّرف مهمَّة في المجتمع، لما فيها من صقل في العلاقات المبنيَّة على الثِّقة، وفيها منع من اختلاط الدِّماء، إلّا أنّ العادات

[1] – خال، عبده: فسوق، دار الساقي، بيروت، ط:3، 2015م، ص 15.

[2] – القرآن الكريم: سورة النّساء، الآية 93.

والتّقاليد تعمد إلى تقويض الدِّين حينما لا يخدمها، وجنّبته من البت فيها، لأنّ المرأة هي الحلقة الأضعف، وكأنّ هذه المسألة محصورة في جسد الفتاة وعذريّته، وفي ذلك تقول د. نوال السّعداوي:(هكذا يتم التَّضليل فيما يخصُّ قضيَّة المرأة، وكأنَّما التَّقاليد القديمة كلّها إيجابيَّة، ولا بدَّ من الحفاظ عليها، ولا توجد تقاليد سلبيَّة يجب الإقلاع عنها) [1]

يبدو أنّ عادة الزّواج من العادات التي لا تخلو منها غالبيَّة الرِّوايات العربيّة، وكأنّها صكّ غفران للخطايا كلّها، خاصَّة إذا تمت ممارسة العلاقة الجسديّة خارج مؤسسته التداوليّة، ففي رواية هديل سيدة حرّة، تقع البطلة/ القائدة في حبِّ أحد الفرسان الذين كانوا يرافقونها في المعارك، بعد أن قُتل زوجها وهو يذود عن الحمى، يتنامى السَّرد في الرّواية، وتُنسج خيوطه من الوحدة والحرمان الذين يطالان البطلة، التي تستجدي وجود الحب في حياتها، وتغذيه نداءات التقاء الجسد بالجسد، وبين الرّفض الذي يسبغه القانون الاجتماعي، وصوت الضمير الدّاخلي الذي يُسمع صوته عالياً بعدما أن استفاق إثر وقوع المواقعة، ينقل لنا "الدّامون" هذا المشهد الحواري – حوار خارجي –[2] بين البطلة وعشيقها :

(أخاف منك أن تكون كباقي الرجال، لا تراني سوى حواء السّاقطة العارية، .....لا تسحقي النَّفس باللوم أكثر مما تتحمّل، فما الإنسان سوى مخلوق ضعيف. ما وقع قد وقع، وما فعلته، وها أنا أحمل همِّي كما يحمل مؤمنو

[1] – السَّعداوي، نوال: كسر الحدود، مؤسّسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتّحدة، 2017 م، ص216.

[2] – الحوار الخارجي: وهو عرض دراماتيكي من طبيعته التبادل الشفاهي بين شخصيتين أو أكثر، وبعبارة أخرى هو: صوتان لشخصين مختلفين يشتركان معا في مشهد واحد، تتبين من خلال حديثهما أبعاد الموقف. يُنظر: إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، منشورات جامعة البعث، سورية، 1988-1989م، ص 294.

النَّصارى، وهم حفاة، تمثالاً من خشب صقيل للنبي عيسى، فوق أشواك. إنّني مشدودة بخطيئتي إلى صليب من ندم ما يفكّني منه سوى زواجي منك.... نعم لن يكفّر عن ذنبي سوى زواجي منك.) [1]

اتّسمت الحواريّة السّابقة بابتعادها عن أهمّ هدف من أهداف الحجاج ألا وهو "الإقناع" فالحجاج أساساً هو (خطاب صريح أو ضمني، يستهدف الإقناع والإفهام، معاً مهما كان متلقي هذا الخطاب، ومهما كانت الطريقة المُتّبعة في ذلك) .[2] إنّ تقاليدنا العربيَّة التي وُجدت قبل الإسلام – وعزّز الإسلام من وجود النوع الجيِّد منها –، هي التي زرعت شعور النّدم في ضميري البطلين، و هذا ما لا نجده في المجتمعات غير العربيّة، فالأفراد لا يتمتّعون بالحرية الكافية في أجسادهم ورغباتهم، حتى في الأمور التي لا تحدث على مرأى من المجتمع، فإنَّ التّربية الاجتماعيّة أسّست لنفسها في وعي وضمير الأفراد، لكي يظلّون يستشعرون برقابة المجتمع التي تصدر عن ذواتهم. بالإضافة إلى أن هديل ليست بالمرأة العادية، وإنما هي عالية السيادة (فالمرأة عالية السِّيادة تقضي أعواماً من عمرها باحثة عن ذكر أعلى منها سيادة وأهميّة، في الوقت الذي تكون مشتبكة مع الذكور في علاقات متعدّدة، وبمجرد أن تعثر عليه لا تتركه بعد ذلك، وتتزوجه وتحيا معه في سعادة) .[3]

---

[1] – الدامون، البشير: هديل سيدة حرّة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط:1، 2015م، ص131.

[2] – أعراب، حبيب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، مج 30، ع: 1، مجلة دورية تصدر عن المجلس الوطني، للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001 م، ص 99.

[3] – ولسون، كولن: التاريخ الإجرامي للجنس البشري سيكولوجية العنف، تر: رفعت السيد علي، جماعة حور الثقافية، القاهرة، ط:1، 2001م، ص 26

وكما أسلفنا كانت الحاجة أو الفقد هو الدَّافع الرئيس لارتكاب هذه الخطيئة (ومع ذلك فإنَّ الحياة الجنسيّة هذه القوّة المولّدة للعالم، تظلّ لغزاً هو أعصى الألغاز. ذلك أنَّ الرّغبة التي لا تفتأ تجذب كلّاً من الجنسين نحو بعضهما بعضا، هي رمز لشيء مفتقد على الدوام، غامض عصي على الفهم)[1]

فالمشكلة في المجتمع العربي, أنّه يبحث عن الحلول بعد الوقوع في الخطايا، ويلجأ إلى نفسه . أي المجتمع . لأخذ الحلول منه، على اعتبار أن لا خروج منه إلّا إليه، فتظل المجتمعات منكفئة على ذواتها، وتدور حول نفسها، فلا تقدّم ولا تطوّر. ومن العادات والتّقاليد الموروثة في المجتمع العربي زيارة أم الزوج لابنها بعد ليلة الزفاف، وذلك من باب الاطمئنان على فحولة الرّجل وطهارة المرأة، وانتهاك خصوصيّة الزّوجين، وإبقاء عادات المجتمع قانوناً يعلو ولا يُعلى عليه، حتّى في أشد التفاصيل خصوصيّةً، إذ إنّ هذه العادات هي الحَكَم على هذا الزّواج من حيث استمراريته أو إنهائه، فنجد ذلك في رواية " حرب الكلب الثّانية" كيف تُسيِّر العادات أم الزّوج نحو بيت ابنها، واقتحام كنه سر بيته، فنجد في رواية "نصر الله " هذا المقتطف الذي يصف فيه تأثّر الأم بالعادات:

(في الصَّباح التالي لليلة زفافه زارته أمه – متأثِّرة بعادات الزّمن الماضي – حاملة معها ما لذَّ وطاب من أطعمه قادرة على شدِّ أزر العروسين، لإنجاب حفيد أو اثنين، دفعة واحدة؛ فمال نحوها، أي أمّه، وقال: أريدك في كلمة. خرجت أمه تتبعه وقلبها يهوي ويصعد من قدميها حتى رأسها، خائفة أن يفاجئها بانتكاسة، تتعلّق بذكورته، أو بطهارة العروس، تفسد فرحتها) [2]، إنَّ المجتمع العربي عامة، يُبقي العروسين داخل إطار متابعة وتقييم، فأحد أهم مقاييس الرجولة هو قدرة الرجل الجنسية في علاقته الزوجية،

[1] – لبيب، الطاهر: سوسيولوجيا الغزل العربي " الشعر العذري نموذجاً، الدار البيضاء، ط:1، 198، ص 11.

[2] – نصر الله، إبراهيم: حرب الكلب الثانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط:1، 2016م. ص30

والعجز الجنسي هو وصمة عار في تاريخ الرجل وعائلته (ويأخذ العجز الجنسي – داخل جو ديني يسمح بالتعبير الجنسي – صورة مأساة يشعر معها الفرد بالعقاب الإلهي، ويذل جماعته معاً أكثر مما يعتبرها مجرد نتيجة لمصيبة شخصيّة)[1]

وقد بدت الأمّ مشدودة إلى عادات المجتمع وتقاليده فيما يخصّ ليلة الزّواج، حاملة معها ما يساعد الزوجين على الإنجاب، وعادة اطمئنان الأهل على إتمام عمليّة الزّواج راسخة في الذّاكرة الجّمعيّة، وكأن مثل هذه الموضوعات لا تتسم بالخصوصيّة، بل تكون مُعلنة، وما أكّد ذلك، القلق الذي اعترى الأمّ حينما طلب البطل من أمّه أن يتحدّثا على انفراد. فام يتبادر إلى ذهنها سوى عجز ابنها جنسيّاً، وعذريّة الزّوجة.

إن إرثنا الاجتماعي القديم قد أوغل كثيراً في التعمّق في نفسيَّة الأفراد، وهو بذلك يعمل على استزادة المشاكل النّفسية عند الإنسان، لذا يبقى الوعي الإنساني مكبّلاً ولا مجال لتطوّرِه وارتقائه ويرى " شايغان داريوش" أنَّ (التّراث والمعتقدات القديمة أصنام للذِّهن، وعقبات في طريق ازدهار العقل وتطوره) [2]

ويبدو أنّ الإنسان العربي مازال متمسِّكاً بعاداته و تقاليده إلى يومنا هذا ، فهي رفيقته في حلّه وترحاله، تزامناً مع الهجرة التي رافقت المشهد الاقتصادي السِّياسي في بلاده، فالمجتمع العربي المُتجرّد كان يمنح هاجساً مقلقاً، لاسيّما وأنّ الإنسان كائن اجتماعي بطبعه موثِر ومتأثِّر بما حوله، وبقيت العادات والتَّقاليد هي الإسفين الذي يشدّه إلى أصله وجذوره وهذا ما صورته بعض من روايات المدينة الفاسدة، التي حُبكت أحداثها واختيرت شخوصها بواقعيّة موهمة، ففي رواية " صخب ونساء وكاتب مغمور" يدور الحوار بين شخصيتين إحداهما – وهي الكاتب – تتطلّع للسَّفر والغربة ، وتجد ردّاً من الشّخصيّة

[1]–الطاهر، لبيب: سوسيولوجيا الغزل العربي – الشعر العربي نموذجاً – ص 113.

[2] – شايغان، داريوش: الأصنام الذهنية والذاكرة الأزلية، تر: حيدر نجف، دار الهادي، بيروت، ط: 1، 2007 م، ص41.

الثّانية والتي تقدّم " العادات والتقاليد ذريعةً " للإقناع وللحيولة دون سفر الكاتب المتطلّع إلى الهجرة: (وكعادة المهاجرين الذين يجدون في أنفسهم هذه النستالوجيا الوطنيّة وقد تيقّظتْ على روائح الخشب القديم والزّخارف والبسط والأدوات القديمة.....فحذّرني من تغيير العادات والأخلاق والقيم، وكل هذه التّرهات الذّهبيّة التي يحتفظون بها احتفاظاً، فكدت أفقد عقلي أمام بلاهة أعذاره. وشرحت له الأمر كما فهمته وعرفته، قلت له لا تغيير في العادات ولا بطيخ، في ساحة هلنسكي نصب حجي عيدان قزان الهريسة ووزع على روح الحسين ..والنرويجيّات كلّ واحدة بيدها الطنجرة ..وقفت بالدور في ثواب أبي عبد الله) [1] إنَّ للعادات وللّتقاليد دوراً سلبيّاً في حياة الفرد . كما أشرنا . والالتزام بها خارج البلاد العربيّة أمر لا منطقي وغير مبرَّر، ونقل صورة قميئة و غريبة عن واقعنا المعيش للعالم، والمهاجر العربي واقع بين المطرقة السّندان أمام حيثيّات الهجرة، فإمَّا الغربة وسحق العادات والانخراط في مجتمع لا يشبه ذهنيّة آبائه وأجداده، وإمَّا الحفاظ عليها في مجتمع متحضِّر بروليتاري لا يعترف بها أساساً ولا ينبغي له التعرّف إليها أو الاعتراف بها. (إنَّ الإنسان إذا كان يرغب جديّاً أن يعيش أفضل حياة تتيسَّر له، وجب عليه أن يتعلَّم أن ينظر نظرة النَّاقد إلى العادات والمعتقدات القبلية.) [2] وقد بدا الكاتب من خلال الحوار أنّه على وعي تام بخطأ تصدير العادات والتقاليد إلى الخارج، وقد أطلق عليها اسم " التُّرّهات الذّهبيّة " بشيء من السّخرية والهزء. كما أنّه أظهر ازدراءه للنِّقاش، الذي كاد يفقد عقله بسببه.

[1] – بدر، علي: صخب ونساء وكاتب مغمور، دار نون، الإمارات العربية المتحدة، 2005م، ص 15.

[2] – راسل، برتراند: السّلطة والفرد، تعريب: شاهر الحمود، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، 1961م، ص133.

خاتمة:

من خلال هذه الدّراسة توصّلنا إلى مجموعة من النّتائج:

1- أنّ العادات والتّقاليد كانت مدعاة للفساد الاجتماعي، في مجتمع رواية المدينة الفاسدة.

2- وقد كانت وما زالت عقبة في طريق التقّدّم والتطوّر، وإن كانت في الآن نفسه وسيلةً ناجعة في حفظ الأخلاق والدّم، والحفاظ على ذاكرة الشّعوب الجمعيّة، وتنظيم حياة الفرد والمجتمع. لا سيّما وأنّه ليست كل العادات والتّقاليد سلبيّة في كنهها.

3- بدا أنّ العربي رغم الظّروف المحيطة به، ظلّ محافظاً عليها حتى في هجرته إلى المجتمعات الغربيّة، وهو بذلك يقُدِّم ذهنيّة متخلّفة عن مجتمعه العربي.

4- كما ظهر جليّاً من خلال الرّوايات أنّ الاحتكام إلى العادات والتّقاليد يمثّل مهرباً وطريقاً لحلّ المشكلات التي تعترض المجتمع، وهو بذلك يُقدِّم أعراف المجتمع وتقاليده على الدّين الذي يوافق الفطرة.

5- العادات والتّقاليد لا تمثّل الدّين في مِرار كثيرة، كقتل الفتيات في مسائل الشّرف، وغيرها من المسائل التي تتعارض والدّين والأخلاق.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، منشورات جامعة البعث، سورية، 1988-1989م.
- بدر، علي: صخب ونساء وكاتب مغمور، دار نون، الإمارات العربية المتحدة، 2005م.
- خال، عبده: فسوق، دار الساقي، بيروت، ط:3، 2015م.
- الدامون، البشير: هديل سيدة حرّة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط:1، 2015م.
- راسل، برتراند: السّلطة والفرد، تعريب: شاهر الحمود، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، 1961م.
- السَّعداوي، نوال: كسر الحدود، مؤسّسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتّحدة، 2017 م.
- شايغان، داريوش: الأصنام الذهنية والذاكرة الأزلية، تر: حيدر نجف، دار الهادي، بيروت، ط: 1، 2007 م.
- شكري، عز الدين: مقتل فخر الدين، الدار المصرية اللبنانيّة، القاهرة، ط: 3، 2009م.
- فياض، حسام الدين محمود: الضبط الاجتماعي " تعريفه، أهميته، أنواعه، آلياته، نظرياته " مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، (مكتبة إلكترونية)، ط:1، 2018م.
- مجموعة من المؤلفين: أثر مواقع التواصل الاجتماعي على عمليَّة الضبط الاجتماعي، مركز رؤية للدراسات الاجتماعية، سلسلة البحوث والدِراسات، السّعوديّة، ط:1، 2014 م.
- هولتكرانس، إيكه: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، تر: محمد الجوهري– حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط:2، (د.ت).

- ولسون، كولن: التاريخ الإجرامي للجنس البشري سيكولوجية العنف، تر: رفعت السيد علي، جماعة حور الثقافية، القاهرة، ط:1، 2001م، ص 26
- لبيب، الطاهر: سوسيولوجيا الغزل العربي " الشعر العذري نموذجاً، الدار البيضاء، ط:1، 1987م.

رسائل الماجستير والدّكتوراه:

- فايزة، إسعد: العادات الاجتماعيّة والتّقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، مقاربة سوسيو- أنثربولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة نموذجاً، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، إشراف أ. حجيج الجنيد، جامعة وهران، السنة الدراسية 2011-2012م.

المجلّات والدّوريّات:

- أعراب، حبيب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، مج 30، ع: 1، مجلة دورية تصدر عن المجلس الوطني، للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001 م.

قيمة الجميل في الشعر الجاهلي (دراسة تحليلية)

الطالبة : شذا مندو

اشراف : د. منار العيسى

كلية الآداب – جامعة البعث

ملخص البحث :

وعى الإنسان في العصر الجاهلي طبيعة حياته وظروف بيئته الصحراوية، التي فرضت عليه حياة من نوع خاص، فكان محتماً عليه الالتزام بجملة من العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية التي ساعدت طبيعة هذه الحياة على ظهورها.

لكن ذلك لا يعني خلو المجتمع الجاهلي من الكثير من الممارسات اللاأخلاقية والنقائص والسلبيات، سواءَ على مستوى العادات أو التقاليد أو القيم الأخلاقية، وقد أدرك هذا التناقض الشعراء ونقلوه إلى شعرهم.

وانطلاقاً من تمييزهم بين المحمود والمذموم، بين الجميل والقبيح ، تمكَّن الشاعر الجاهلي من ملاحظة جمال القيم الخلقية ووعى قبح تركها، لذلك كان هذا البحث لدراسة مظاهر الجميل في أخلاق العرب، والجوانب الجمالية في الصفات المعنوية عند كلٍّ من النساء والرجال، وتناول بالدراسة والتحليل بعض الشواهد الشعرية للكشف عن مكامن الجمال في كل خلق نبيل تحدثت عنه الأبيات.

الكلمات المفتاحية : علم الجمال – القيمة – الأخلاق – الحكمة – الكرم.

Reserch Summary:

In the pre-Islamic era, man became aware of the nature of his life and the conditions of his desert environment, which imposed on him a life of a special kind, so it was inevitable for him to abide by a set of customs, traditions and moral values which helped the nature of this life to appear.

However, this does not mean that pre-Islamic society is devoid of many immoral practices, contradictions, and negatives, whether at the level of customs, traditions, or moral values. Poets have realized this contradiction and transferred it to their poetry.

and based on their distinction between the praiseworthy and the reprehensible, between the beautiful and the ugly, the pre-Islamic poet was able to notice the beauty of moral values and was aware of the ugliness of leaving them.

Therefore, this research was to study the manifestations of the beautiful in the ethics of the Arabs, and the aesthetic aspects in the moral traits of both women and men,

And standing on poetic models that dealt with this subject and clarified it and studied it in an analytical study to reveal the reservoirs of beauty in every noble creation that the verses talked about.

Keywords: aesthetics - value - ethics - wisdom - generosity

تتأتى أهمية البحث من كونه يحاول الكشف عن جوانب الجمال في أخلاق العرب في جاهليتهم، والوقوف على تمثُّلهم لهذه الأخلاق، ومدى تمسُّكهم بها، وحضِّهم عليها، وتبيان فضلها في رفع قيمة الإنسان وتخليده بعد موته، كما يهدف البحث إلى دراسة جمالية القيم الخلقية التي تحلى بها العرب في الجاهلية، للكشف عن طبيعة وعيهم الجمالي، وتخصيص الحديث عن أهمها : كالحكمة والكرم، وتتبعها في الأغراض الشعرية، ودراستها دراسة تحليلية معتمدة على المنهج الجمالي، فكان منهج البحث هو المنهج الاجتماعي، إلى جانب المنهج الجمالي، للاستفادة من قيمه ومقولاته الجمالية في دراسة النصوص الأدبية، فكانت مشكلة البحث في الحديث عن منظومة الأخلاق في العصر الجاهلي، وإمكانية إخضاعها لمقاييس علم الجمال ودراستها وفق معاييره.

علم الجمال:

الجمال: لغة:

جاء في اللسان: "الجمال مصدر الجميل، والفعل جَمُل، وقوله عز وجل: ولكم جَمَال حين تُريحون وحين تسرحون، أي بهاء وحسن. ابن سيده: الجمال يكون في الفعل والخلق" [1]، والجمال كما قال ابن قتيبة: "أصله من الجميل وهو وَدَك الشحم المذاب. يُراد أن ماء السِّمَن يجري في وجهه"[2]، و"جَمَّلَهُ تجميلاً: زَيَّنَهُ" [3]، ويُقصد من ذلك المعنى الحسي للفظة الجمال، أما ما قيل عن معناه المعنوي، فقد قال ابن الأثير: "الجمالُ يقع

[1] لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، مادة(جمل).
[2] مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، د. ط، 481.
[3] القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، د. ط، 295.

على الصور والمعاني، ومنه الحديث، إنَّ اللّه جميل يحب الجمال أي حَسَن الأفعال كامل الأوصاف"[1].

فالجمال من معناه اللغوي يدل على جمال الخَلْقِ والخُلُق، ويدل على جمال الأشكال والصفات، والأخلاق والأفعال.

اصطلاحاً:

الجمال في معناه الاصطلاحي ، هو:" صفة تُلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سروراً ورضى. والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللطف، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم، أعني الجمال والحق والخير" [2]، والجمال كعلم، فهو "علم يبحث في شروط الجمال، ومقاييسه، ونظرياته، وفي الذوق الفني، وفي أحكام القيم المتعلقة بالآثار الفنية، وهو باب من الفلسفة"[3].

وبذلك فالجمال عند الفلاسفة يبعث على الارتياح و السرور عندما تتحقق شروط علم الجمال ومقاييسه وأحكامه مع عناصر الموضوع الذي يُعنى بدراسته.

القيمة:

لغة: جاء فِي المِصْبَاحِ المُنِيرِ: " (القَوامُ) بِالْفَتْح العَدْلُ وَالِاعْتِدَال قَالَ تَعَالَى : ((وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قواماً)) أَي عدلاً وَهُوَ حَسَنٌ (القوام) أَيْ الِاعْتِدَالِ . . و (القيمة) الثَّمَنْ الَّذِي (يُقاوَم) بِه الْمَتَاعُ أَيْ (يَقُومُ مَقامَهُ) وَالْجَمْع (القِيَمُ)" [4].

[1] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة(جمل).

[2] المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت - لبنان، د. ط ، 407.

[3] نفسه ، 407.

[4] المصباح المنير ، أحمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت _ لبنان ، د . ط، د . ت ، ج1، 520.

وَقَدْ أَوْرَدَ الزُّبَيْدِيّ تَعْرِيف القِيمَة مجازاً " وَمِنْ المَجَازِ: قَامَتِ الأَمَةُ مائةَ دِينَار : أَيْ بَلَغَتْ قِيمَتُهَا ذَلِك . . . وَأَمر قَيِّمٌ : مُسْتَقِيمٌ وَخُلُقٌ قَيِّمٌ : حَسَنٌ، وَدِين قَيِّمٌ : مُسْتَقِيمٌ لَا زَيْغَ فِيه "[1].

أما اصطلاحاً:

فمدلولها المادي يجعلها " خاصية تجعل الأشياء مرغوباً فيها. فالنبالة مثلاً، لها قيمة عظمى لدى الاستقراطي "[2]، ولمدلولها المادي " أ- قيمة استعمالية ... لسلعة ما هي المنفعة الناتجة عن استعمالها . ب - قيمة تبادلية ... عندما نقابل سلعة بسلعة أخرى أو بالنقد "[3].

أما د. إبراهيم مدكور فأورد مدلولها المعنوي، فهي " صفة عينية كاملة في طبيعة الأقوال (في المعرفة)، والأفعال (في الأخلاق)، والأشياء (في الفنون) "[4].

ومما سبق يلاحظ تطابق معناها اللغوي ومعناها الاصطلاحي، فهي إضفاء أهمية، وإكساب تقدير، وإعلاء من شأن الأفعال، والأقوال، والأشياء، في جانبها الإيجابي.

فعندما تكون الأفعال نبيلة تكتسب قيمة خلقية، وعندما تكون الأشياء رائعة تكتسب قيمةً جمالية.

[1] تاج العروس ، تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تح: علي شيدي، دار الفكر، بيروت_ لبنان،592 – 597.
[2] المعجم الفلسفي ، مراد وهبة ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ط 5 ، 506.
[3] نفسه ، 506.
[4] المعجم الفلسفي ، د.إبراهيم مدكور ، 151.

مفهوم الجميل:

إن أولى مراحل تعرف الإنسان على الجمال هو وجود موضوع جميل يجذب انتباهه، ويحرك مشاعره نحوه، وامتلاكه حساً عالياً بالجمال.

وطالما وجد موضوع الإحساس بالجمال فإنه يستلزم بيان موقف الذات منه، لأنه "وإن كان يخاطب الشعور إلا أنه مصحوب بإدراك وبحكم نقدي أو بفعل تفضيل بمعنى أننا لا نفضل الأشياء لأنها تنطوي على جمال معين وإنما تصبح جميلة وذات قيمةٍ لأننا نفضلها"[1].

وعندما يغدو الشيء الجميل موضوعاً للتفاضل والتمايز، يختلف إدراك الأفراد للجمال باختلاف المجتمعات، بدائية كانت أم متحضرة، واختلاف طبيعة الأفراد، وتكوينهم الثقافي، ومستوى تطورهم الفكري، ومدى تأثير البيئة والمحيط على نمط الأفكار وصياغتها، وقدرة كل فرد على تقبل ما يطرأ من تغييرات على المجتمع مع مرور الزمن.

وقد جسد العرب وعيهم للجمال وإدراكهم له وتذوقوه في شعرهم، فكان بحق ديوان العرب.

عدم اقتصار الجميل عند الجاهلي على صورة المرأة المثال:

ذهب الدكتور شكري فيصل إلى أن "المرأة هي جماع كل مظاهر الجمال وصوره فهو لا يشهد غيرها في حياته الرتيبة، وهي تكاد تكون لذلك محور اهتماماته النفسية ووثباته العاطفية " [2] ، فإن هذه النظرة تجعل من الإنسان الجاهلي إنساناً بدائياً، خالياً من المعارف والتجارب والمهارات، صحيح أنَّ الحياة في الجاهلية مقتصرة على صحراء

[1] مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن ، د. أميرة حلمي مطر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1989 ، 12 .
[2] - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، د. شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، سوريا ، د.ط ، 1379ه – 1959م ، 144.

واسعة مقفرة، لكن هذا لا يعني أن الجاهلي لم يكن لديه وعيٌ بالجمال، أو أقل درجات الإحساس بالجمال.

على أن الجمال الحقيقي لا يكون في الشكل الخارجي، بل في التركيب الخلقي للفرد، فالثابت عند العرب في الجاهلية أن القيم الأخلاقية هي قوام حياتهم، والمحافظة عليها، والتمسكُ بها محافظةٌ على بقائهم ووجودهم وضمانٌ لهما، لما في ذلك المجتمع من حروب و ممارسات لأخلاقية، فلا خيار لديهم إلا التحلي بالأخلاق، والانضباط بقواعد السلوك السليم، في مجتمع لا رادع فيه، ولا سلطة – بمعناها الكامل – إلا الالتزام بالفضيلة، والعمل بالأخلاق.

ومن ذلك قول عمرو بن معدي كرب:[1]

لَيْس الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيْتَ بُرْدا

إنَّ الجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدا

فقد وجد عمرو بن معدي كرب، وغيره من الشعراء أن حقيقه الجمال تكمن في إنسانية الإنسان، وفي جوهره ومعدنه الأصيل، لا في شكله الخارجي، أو ما يرتديه من ثياب، أو ما يتزيَّن به من حُليّ.

و قول الشاعر (مناقب أورثن مجداً)، أن من كان كريماً أو شجاعاً أو صبوراً أو حليماً أو حكيماً أو... إلخ، قد ذهب بجسده، وشكله، وحلته، وذهب من أكرمهم وساعدهم ، وتفضَّل عليهم، ولم يبق منه إلا جميل فعله وكريم أخلاقه، ورفعة أصله الطيب.

وقد رسخ كل ذلك الشعراء في شعرهم، دافعين غيرهم إلى التمسك بجميل الأخلاق، وأرفع القيم، لأنه الخلود الحقيقي لهم، فلا مال يخلد الإنسان ولا جماله ولا زينته.

[1] شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق_سوريا، ط2 ، 79-80.

وقد لجأ الشعراء إلى ربط جمال الطبيعة حولهم بجمال المرأة، فقد عمد الشاعر إلى تشبيه جمال وجه المحبوبة بإشراقة الشمس، كما في قول النابغة:[1]

بَيْضَاءُ كَالشَّمْس وَافَتْ يَوْم أسعدها لَم تُؤْذِ أهلاً، وَلَم تُفحش عَلَى جَارٍ[2]

فقد قرن بياض وجهها، والنور المنبعث منه ببياض الشمس، فهي تبدو مانحة الضياء والإشراق للكون، وإحساس الشاعر بجمال الشمس وسطوع ضوئها وانتشاره، لا يقل عن إحساسه بجمال المحبوبة، وكذلك ما فعله عنترة عندما أراد الحديث عن طيب رائحة ثغر عبلة، من خلال وصفه لروضة ساحرة، في قوله:[3]

أَوْ رَوْضَةً أُنُفاً تَضَمَّنَ نَبْتَها غيثٌ قَلِيلُ الدِّمْنِ لَيْسَ بِمَــعْلَمِ[4]

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فتركْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَـالدِّرْهَـــمِ[5]

سَحَّاً وتَسْكاباً فَكُلُّ عَشِيَّةٍ يَجْرِي عَلَيْهَا المَاءُ لَمْ يتصـــرَّمِ[6]

فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يُغَنِّي وَحْدَهُ هَزِجاً كَفِعْلِ الشَّـــــارِبِ المُتَرَنِّمِ[7]

غَرِداً يَسُنُّ ذِراعَهُ بذِراعِهِ فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأجْذَمِ[8]

[1] ديوان النابغة الذبياني ، عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط3، 20 .

[2] يوم أسعدها : أي أنها تطل في يوم سعيد نسبة إلى برج سعد السعود الذي يبدأ في السادس و العشرين من شهر شباط و ينتهي في التاسع من شهر آذار تقريباً .

[3] ديوان عنترة ، تح: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، د. ط، 123 .

[4] الدمن : البعر، معلم : مكان مشهور.

[5] المطر الجود : وهو الغزير، العين مطر دائم أيام لا يقلع ، الثرة : الغزيرة .

[6] السح و التكساب: الصب الشديد ، يتصرم : ينقطع ، خص مطر الصيف والعشي : لأنه أغزر.

[7] الهزج : المتتابع الصوت ، كفعل الشارب : شبه غناء الذباب بغناء الشارب ، المترنم : الذي يترنم بالغناء أي يمد صوته ويرجعه .

[8] الغرد: الذي يمد صوته ويطرب ، يسن : يحدد ، ومنه سن السكين . الزناد وهو العود الأعلى ، الأجذم : المقطوع الكف.

وهنا أخرج عنترة مشهداً متكاملاً لروضة – غير واضحة المعالم، ولم تطأها قدم لعدم شهرة موضعها – حوت كل تفاصيل الجمال، وأراد من خلالها تشبيه رائحة ثغر عبلة بريح النبات الذي هطل عليه المطر، وتجمعت مياهه في بركٍ صغيرة، بدت لنقائها واستدارتها كالدراهم المتناثرة على أرض الحديقة، فالأمطار لا تنقطع عنها، كأنها تنصب من السحاب لتسقط على الأرض جداول، فتعشب الروضة، و يأتي إليها الذباب متغنياً بصوت متتابع، كشارب يمد صوته ويرجعه.

وينتقل إلى تصوير حركة الذباب حين يسقط في هذه الروضة، فيحك إحدى ذراعيه بالأخرى كرجلٍ مقطوع الكفين.

و قد جاءت الصور متناسقة مع دلالاتها، وكشفت عن عاطفة صادقة انطلق منها الشاعر وحشد لها تشبيهات كثيرة جعلت وصفه متكاملاً، مضيفاً إليه عنصر الصوت والحركة، ليبدو إخراجه للمشهد متكاملاً، فأعطت صوره وقعها وفاعليتها في المتلقي.

كما كانت نظرة الشعراء إلى الموضوع الجميل تقوم على تقديمه المنفعة، فالقمر له دور في هداية الساري في الصحراء ليلاً، وإنارة الطريق له، رغم خفوت ضوئه، إلا أنه يؤنس وحشته، و يشق ظلام الليل، وهذا لا ينفي جمال القمر الساحر، فقد أقام الشاعر علاقة تشابه بين القمر ووجه المحبوبة، وكان التغني بجماله في مختلف أطواره ديدن الشعراء، بل أصبح وكأنه معيارٌ من معايير الجمال، إذا شبهت به المرأة حازت الجمال الكلي، كقول عمر بن معدي كرب:[1]

وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى

استمد الشاعر المشبه به من الطبيعة، وهو القمر، عندما يبلغ طور البدر فإنه يحوز أقصى درجات الجمال والاكتمال والوضوح، وكذلك بدت لميس للشاعر عندما كشفت عن وجهها، فبدا له كالبدر المنير في سماء مظلمة.

[1] شعر عمرو بن معدي كرب، 81.

وعليه، فإنَّ كثرة استخدام الشعراء لظواهر مختلفة، وتكرارها في شعرهم يدل على أمرين "أولهما أن هذه الظواهر موجودة في الحياه نفسها، وأن الإقرار بجمالها إقرار جماعي شامل يعبر عن الذوق الجمالي للمجتمع الجاهلي. وثانيهما أن الشعر الجاهلي شعر شفوي يعتمد فيه الشاعر على مخزون تقليدي جماعي من الصيغ والتراكيب في بناء أشعاره"[1].

وأخيراً، فقد عمد الشعراء في مثل هذه الشواهد إلى التركيز على جمال مظاهر الطبيعة حولهم من خلال تشبيه كل ما تقع عليه عينه من جمال بجمال المرأة التي يحب، وكأنه يرسم لوحه فسيفسائية لمحبوبته، وكل قطعة منها مستمده من شيء جميل، ليجمع الجمال الكلي في صورة المرأة المثال.

كما أدرك العربي جمال ما حوله من موجودات حسية، بوصفها أشياء جميلة في ذاتها، وبرع في وصفها وتصويرها، مبرزاً جوانب الجمال فيها، كقول لبيد بن ربيعة:[2]

بذي بهجةٍ كنَّ المقانبِ صوبَه وزيَّنهُ أطرافُ نَبْتٍ مُشرَّبِ

جلاهُ طلوعُ الشمسِ لما هبطْتُهُ وأشرفتُ من قُضفاله فوق مرقبِ

فهو يصف الأرض بعدما هطلت عليها الأمطار، فنبتت فيها أشكال من النباتات الملونة، وزاد من حسنها إشراق الشمس عليها، فأكسبتها جمالاً و بهاءً.

فقد أدرك العرب الجمال في كل شيء "وتذوقوه، وأدركوه في الطبيعة، وأدركوه في المرأة، وأدركوه في فن القول"[3].

[1] الوعي الجمالي عند العرب قبل الإسلام ، فؤاد المرعي ،، الأبجدية للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 76.
[2] ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، 29.
[3] الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، نهضة مصر ، مصر ، ط1 ، د.ت ،24.

-جمال المرأة المعنوي:

أكثر الشعراء من التغني بجمال المرأة الحسي، لكن هذا لا يعني أنهم أغفلوا الجوانب المعنوية في المرأة، إذ " ليس جمال الروح بأقل تأثيراً في نفس الرجل من جمال الجسد، بل لعله أعمق منه أثراً وأبعد غوراً وأقوى اجتذاباً" [1] ، و قد تمثَّل الجمال المعنوي في:

1-النظرات الساحرة:

فقد يكون للعيون لغة أعمق من لغة الكلام، و وقع أكبر في النفوس، وأثر أعظم في المشاعر، وقد استطاع الشاعر رصد المعاني المتخفية وراء كل نظرة، دون الحاجة إلى نطق كلمة واحدة، كما في حديث امرئ القيس عن نظرات الحنان في عيون محبوبته، في قوله:[2]

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيْلٍ و تتَّقي بناظرةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ [3]

فقد شبه نظراتها بنظرات البقر إلى أطفالها، لما فيها من حب وعطف، وما لها من تأثير يأخذ بقلب الشاعر وعقله معاً، ويجعله أسيراً لها.

كما كانت المرأة تجعل من نظراتها سلاحاً تتسلح به لإقناع زوجها بما تريد، كما فعلت زوجة عروة بن الورد، فهي لا تطيق خوضه المخاطر، وتخشى عليه من أي سوء، كما في قوله: [4]

تَقُولُ ألا أَقْصِرْ مِنْ الغَزْوِ، وَاشْتَكَى لَهَا القَوْلُ، طَرفٌ أَحْوَرُ العَيْن دامعُ

سأغنيك عَن رَجع المَلَام بمُزمِعٍ مِنْ الأَمِيرِ، لَا يَعْشُو عَلَيْه المطاوعُ [5]

[1] الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، 55 .
[2] ديوان امرؤ القيس ، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 16.
[3] تصد : تعرض ، تبدي : تظهر، أسيل : الخد السهل ، الناظرة : العين ، مطفل : التي لها طفل ، بقرة ذات طفل.
[4] ديوان عروة بن الورد، أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، 82 .
[5] أزمع الأمر: أي قرره وأثبت عليه و أصر ، وأظهر فيه حزماً ، يعشو عليه : يقصده ،المطاوع : الموافق على الشيء .

فهي تخاطبه بلغة عيون تملؤها الدموع، والنظرات مبعثها حبها له، وخوفها عليه، فلم تسعفها الكلمات بقول ما تريد، فوجدت من الدمع والنظرات الحزينة المنكسرة وسيلةً لها لإيصال مشاعرها لزوجها، محاولة إقناعه بعدم تركها، وتعريض نفسه للهلاك، ولكنه مضطر إلى مواصلة السعي، وربط الليل بالنهار ليستطيع تأمين مستلزمات الحياة.

وتأكيداً لما سبق، فقد كانت النظرات كافية لإدراك الجمال الروحي للمرأة، وتوصيل ما يعجز اللسان عن نطقه، ومعرفة ما تخفيه من مشاعر، وسراً من أسرار جمالها، استطاع الشاعر كشفه، وحل غموضه وصوغه في شعره.

2-الابتسامة:

وصف الشعراء ابتسامة المحبوبة، وشبهوها بأرق ما يمكن من التشابيه، وذلك لرقة هذه الابتسامة، وما تحدثه من أثر لطيف في نفس الشاعر، من ذلك قول حاتم الطائي : [1]

يُضِيء لَنَا البَيْتُ الظَّلِيلُ خَصَاصُهُ إذَا هِيَ ليلاً حَاوَلَتْ أَنْ تَبَسَّما [2]

فقد جعل الشاعر النور منبعثاً من ابتسامتها لينير ظلام البيت ليلاً، على أن النور الذي يتحدث عنه معنوي يحسه في نفسه، كذلك ما تفعله ابتسامة المحبوبة من حالة نفسية محببة عند الشاعر، تبعث فيه الإحساس بالبهجة والسرور، لذلك عُدَّت " بسمة المرأة من أنواع مفاتنها وعوامل إغرائها"[3]، وعنصراً جمالياً مضافاً إلى جمالها الروحي.

3-صوتها و حديثها:

إن افتتان الشعراء بالشعر والموسيقى يجعلهم يدركون جمال صوت المحبوبة، وما يحدثه النغم في صوتها من تأثير بالغ يفقد العقول، ويأسر القلوب.

---

[1] ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، تح: د. عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د. ط، 234 .

[2] البيت : عيال الرجل ، الظليل : دائم الظل ، خصاصه : جمع خصاصة ، وخصاص البيت والمنخل .

[3] الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، 63 .

فقد شبه الشاعر حلاوة قول محبوبته بالشهد المصفى، كما في قول أبو ذؤيب الهذلي:[1]

مطافيلَ أبكار حَديثٍ نِتاجُها تُشابُ بماءٍ مِثْلِ ماءِ المفاصِلِ [2]

فهو يتغنى بلذة حديثها الذي يشبه بجماله العسل الذي خالط لبن الأبكار من الإبل التي تدر لبناً شابه ماء السيل البارد، فلا طعم يضاهي مذاق العسل الممزوج بلبن إبل حديثة الولادة مع ماء بارد، وقد جاء جمال الوصف من لذة حديثها وما يثيره في عقله من صور جميلة سعى من خلالها إيصال إحساسه بالجمال.

ومما سبق يلاحظ عناية الشعراء بتصوير حديث المرأة، وتبيان وقعه في النفس، لما له من أهمية لدى الرجل لأن " الصوت والحديث من ينابيع الجاذبية، ولقد يستهوي الصوت ويجتذب كما تجتذب النظرة والحركة والجمال" [3]، فهم لاحظوا أدق تفاصيل الجمال.

4-العفة:

لعل العفة من أهم الصفات المعنوية التي تمتعت بها المرأة في الجاهلية، فهي ممنعة ومصانة ومحمية – كالجواهر النفيسة – في ظل مجتمع يقدس العرض والشرف، ويستميت في الحفاظ عليه، وكان من مظاهر العفة عند المرأة ارتداء الخمار، كما في قول دريد بن الصمة: [4]

من الخَفَراتِ لا سَقُوطاً خِمارُها إذا برزَتْ و لا خروجَ المُقَيَّدِ [5]

فهي بحيائها تصون نفسها من خلال وضع الخمار لإخفاء جمالها، وارتداء الثياب الساترة حتى أن موضع الخلخال لا يكون بارزاً لأحد.

[1] - شرح أشعار الهذليين ، صنعه : أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تح : عبد الستار أحمد فراج ، راجعه : محمود محمد شاكر ، مطبعه المدني ، مصر ، د.ط ، 1384 ه – 1965م ، ج1 ، 141 .
[2] أبكار : جمع بكر، وهو أول بطن وضعته ، تشاب : تمزج ، المفاصل : مفاصل الوادي وهي المسايل.

[3] الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي، 60.
[4] ديوان دريد بن الصمة ، تح: د.عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة _ مصر ، د.ط، 58 .
[5] لم أخفر: أي لم أنقض عهدها و أسيء عشرتها وجوارها ، المقيد : موضع الخلخال من المرأة .

وبناءً عليه، فإن " حياء المرأة من مكملاتها في نظر الرجل، لأنه دليل على تصونها وعفتها وتمنعها وأنوثتها، وقد أعجب به العرب لأن أخلاقهم قائمة على الغيرة والعفة والإشادة بالمرأة المستكملة لصفات الأنوثة " [1]، فمجتمع الجاهلية كان يعلي من شأن المرأة التي تحافظ على شرفها وسمعتها، لأن رفعة شأن المرأة من رفعة القبيلة، وأي أمر يشين المرأة يجلب العار للقبيلة.

ليس ذلك فحسب، بل لفتهم أيضاً رقة المرأة ورشاقتها، وقد تناولها الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون بالتحليل، فهو" ينوه بالأثر النفسي للرشاقة وبإيحائها المحبب اللذيذ ،... كما أن الرقة تطالع القلب في محاسن النساء العربيات اللواتي جمعن من كل شيء أطيبه وأصفاه و أحلاه " [2]، فها هو الأعشى يتغنى بمحبوبته التي تمر برقة ولطف كمر السحابة، في قوله:[3]

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا من بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ ، لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

فهي عندما تخرج تمشي إلى مقصدها مشية اعتدال واتزان، لا تتلفت حولها، ولا تسرع الخطا، فمرورها برقة كالسحاب في السماء، لطيف الوقع في النفس، فيه إيحاء "على وجه الخصوص بالحب والوصال"[4].

وعليه، فإن عناصر جمال المرأة المعنوية كانت مؤطرة ومحددة في بيئةٍ "يسيطر فيها الرجل سيطرة مطلقة على جميع مجالاتها، لا يبقى للمرأة غير حيز السهر على راحة الرجل المقاتل، ومتعته، وإنجاب الأولاد الذكور، الأقوياء، الصحيحي النسب "[5].

[1] الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، 67 .
[2] بدائع الحكمة ، فصول في علم الجمال وفلسفة الفن ، د.عبد الكريم اليافي ، دار طلاس ، دمشق –سوريا ، ط1 ، 1999 ، 71 _ 77.
[3] ديوان الأعشى الكبير، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لينان، ط1، 130.

[4] بدائع الحكمة ، د. عبد الكريم اليافي ، 81 .
[5] الوعي الجمالي عند العرب قبل الإسلام ، د. فؤاد المرعي ، 92.

وفي إطار مجتمع قبلي، يعلي من شأن الذكر، ويرفع من قدره، وعُدَّتْ هذه العناصر بمنزلة معيار الجمال المعنوي للمرأة، تماماً كالمعايير التي وضعت للجمال الحسي.

على أن النصيب الأكبر من عناصر الجمال المعنوي حظي بها الرجل، نظراً لما له من دور كبير، ومهام ملقاة على عاتقه، وصفات لابدّ أن تتوفر فيه ليكون ذا مكانة في قبيلته.

-جمال الرجل المعنوي:

و لعل جمال أخلاق الرجل تمثّل في صفتين كانتا أساساً، وقامت عليهما باقي الصفات و القيم، و هي:

1-الحكمة:

كانت الحكمة رأس القيم الخلقية العليا، و الأساس الذي قامت عليه الفضائل في المجتمع، وقد أسهمت في رفد الإنسان بصفات نبيلة جمعتها كلمة (المروءة) في مختلف مظاهرها، من : الكرم، والشجاعة، والحلم، والعفو،وحماية الجار، والوفاء بالعهد، والإيثار، والجود، والصبر على المكاره ونجدة الضعيف، وإغاثة الملهوف....إلخ.

وحملت الحكمة خلاصة خبرة الإنسان، وتجاربه مع معركة الحياة، فهي تعتمد على المنطق، وإخضاع أمور الحياة، إلى العقل.

فالشاعر زهير عاش ردحاً طويلاً من الزمن، وأصبح خبيراً في الحياة، وصروف الدهر ونوائبه، بصيراً بأحواله وتقلباته، فقد أسهم عنصر الزمن بتعميق فهمه ورجاحة عقله، حتى كأنه سَنَّ في شعره دستوراً اجتماعياً نابعاً من عقلٍ مفكّرٍ متأمل، ونفسٍ حكيمة، فهو عاش الحياة وخبرها وسئمها، وهذا حال كل من يُعمِّر، في قوله:[1]

سئمت تكاليف الحياة ومَنْ يَعِشْ ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

[1] ديوان زهير بن أبي سلمى، علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 110 .

ولعل مدار الحكم التي صيغت شعراً في الجاهلية تدور في فلك الموت، وتهذيب النفس وتزكيتها، للارتقاء بها في مجتمع يمجد الفضائل والقيم الخلقية، ويجعلها محور فخره واعتزازه، كما في قول أبي ذؤيب الهذلي : [1]

و إذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

فكان تعبير الشاعر عن رؤيته للموت بأنه كالوحش الموشك أن ينقض على فريسته، فلا تنفع الرقى والعوذ إذا اقتربت المنية، وكان اعتماد الشاعر على الاستعارة قاصداً التأثير في المتلقي فضلاً عن دورها في تجسيد المعنى وتقريبه، كما أراد للنفس الإنسانية السمو والارتقاء بمنعها عما تريد وترغب في الحصول عليه بكثرة، فإذا ما كبح الإنسان جماحها رضيت وقنعت، وقد عبر الشاعر عن موقفه من الموت والنفس عن طريق حكمة مصاغة بطريقة بليغة وموجزة، في قالب شعري متميز متقن ومحكم.

يهدف الشاعر من ورائها إلى توصيل تطلعاته لمجتمع يتفاعل معه الإنسان تفاعلاً إيجابياً، ليكون عنصراً فاعلاً في بنائه أخلاقياً وسلوكياً، فزهير بن أبي سلمى يشير إلى ضرورة التغافل عن زلات الآخرين ومصانعتهم ومجاملتهم، في قوله: [2]

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ

فعلى الإنسان ألا يقف في وجه الآخرين ويكون حاداً معهم، بل عليه أن يوافقهم ويكون ليناً في تعامله معهم، وهذا يتطلب كتمان رفضه لتصرفاتهم، وذلك ليعم السلام والطمأنينة في المجتمع، ويحل الخير محل الشر، وقد نقل فكرته عن طريق التشبيه، فقد شبه الشاعر حال مَن لم يدارِ الناس في الدنيا، بحال من يُعَضّ بالأنياب ويوطأ بخف البعير،

[1] شرح أشعار الهذليين ، السكري ، 8 – 11 . ذكر أكثر المؤرخين أن أغلب شعره قاله في إسلامه، ولا يوجد دليل قاطع على أن هذا الشعر في العصر الإسلامي، لذلك أدرج في البحث في إطار العصر الجاهلي.

[2] ديوان زهير،110.

ووجه الشبه بينهما : الذل والإهانة من الناس، وهو بذلك مزج المعنى العقلي بالمعنى الحسي.

ولقصد المبالغة كان لجوء الشاعر إلى الكناية في قوله (يوطأ بمنسم) وأفادت كناية عن صفة الذل والمهانة لمن لم يجامل الناس ويصبر عليهم.

فضلاً عن استخدامه أسلوب الشرط، فوجود الفعل الأول يلزم تحقيق الفعل الثاني، فمن لا يصانع الناس (يضرس) و(يوطأ)، جاعلاً من الفعل الثاني رد فعل قوي على الفعل الأول، وكلاً من (يضرس بأنياب) و(يوطأ بمنسم) صور مُغرقة في البداوة، منتزعة من البيئة البدوية.

و إذا كان الغد حاملاً معه الموت، فلا مفر منه، وإن حاول الإنسان الهروب منه فلن يستطيع، كما في قول عدي بن زيد: [1]

أعاذِلُ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَنِيَّتِي إِلَى سَاعَةٍ فِي اليَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الغَدِ

ومن جملة حكمتهم أيضاً، التسليم للمستقبل و ما سيحصل فيه، كقول زهير:[2]

وَأَعْلَمُ مَا فِي اليَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

فهو يعلم ما حصل اليوم لأنه واقعه الذي يعايشه، وقد علم ما حدث بالأمس، لأنه مر به، لكنه جاهل عن معرفة المستقبل أو التنبؤ بأحداثه، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على ضرورة التسليم لما خفي عن الإنسان، وترقب الغد المجهول، وعبر عن ذلك من خلال الصور العقلية.

ومما سبق، يلاحظ أن زهير في حكمه يعمد إلى الأسلوب التعليمي، بغية التأثير في المتلقي، فقد ظهر من خلال حكمه في رصانته وصدقه فيما يذكر، وحسن اختياره

[1] جمهرة أشعار العرب ، أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، د.ط ، د.ت ، 179 .

[2] ديوان زهير ، 110 .

للألفاظ والعبارات، ووضوح أفكاره إذ لا تعقيد فيها، وابتعاده عن الغموض، فحكمه كانت ترمي إلى تهذيب النفس الإنسانية، وحسن التصرف في مجتمع غلبت عليه الفطرية و البدائية.

أما حكمة طرفة فكانت تتجه إلى البذل والعطاء، فالمال ينقصه الدهر، ولا ينبغي على الإنسان أن يضنّ به ويبخل، في قوله: [1]

أَرَى المَوْتَ يعتامُ الكِرَامَ ويصطفي عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

أَرَى المَالَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

فهو يرى أن الموت يختار أكارم الناس، ويختص أفضل مال البخيل بالفناء والزوال، فكان حضه على إنفاق المال وبذله وعدم ادخاره، لأنه سينتهي يوماً ما، فقد شبه الشاعر تناقص عمر الإنسان كل يوم، بتناقص المال الذي يؤخذ منه، ووجه الشبه: نهاية كل شيء مهما كان عظمه، وهو تشبيه تمثيلي تشابه فيه طرفا التشبيه، وقصد به إيصال فكرته كاملة و التعبير عن نظرته في الحياة.

ولم تقتصر حكم الشعراء على الموت، فعدي بن زيد تحدث عن تأثير القرين على قرينه، ووجوب اختيار الصديق الصالح، فكل قرين يقتدي بقرينه، في قوله: [2]

عَنِ المَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي

إذا أَنْتَ فاكَهتَ الرِّجَالَ فَلَا تُلِعْ وقُلْ مِثْلَ مَا قَالُوا وَلَا تَتَزَيَّدِ [3]

فهو يوضح أهمية الصدق في حياة الإنسان، لدرجة أن خصال المرء ومزاياه تعرف من قرينه، كما بين أهمية الصدق والابتعاد عن الكذب، والاقتصار في الحديث على ما يؤدي الغرض والمعنى وعدم التزيد فيه والتطويل.

[1] ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تح: درية الخطاب، لطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط2 ، 49 .

[2] جمهرة أشعار العرب ، القرشي ، 179.

[3] فاكهت : مازحت ، تلع : تكذب .

وبذلك، فقد عبرت الحكم التي أتت على ألسنة الشعراء عن تمسكهم بالقيم والمثل الأخلاقية النابعة من فطرة سليمة، وعقل راجح، ومنطق حكيم، فكانت نتاج خبرة طويلة حصلها الإنسان من تجارب الحياة عبر سنين عديدة، فكانت أصدق تعبير عن الواقع، وصيغت صياغة شعرية محكمة السبك، فصيحة العبارة، موجزة اللفظ، دقيقة المعنى، شديدة التأثير في النفس.

2-الكرم:

إن الحديث عن الكرم في الجاهلية يوجب استحضار شخصيات عُدَّت رموز الكرم في ذلك العصر، مِن مثل (حاتم الطائي) الذي غدا رمزاً للكرم في الجاهلية، ومضرباً للأمثال بجوده وإيثاره، وباتت أخباره مبعثاً للفخر بشيم الإنسان العربي، وجميل صفاته، وأفعاله، فهو القائل: [1]

إِذَا كَانَ بَعْضُ المَالِ رَبّاً لِأَهْلِه فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدُ

يُفَكُّ بِهِ العَانِي وَيُؤْكَلُ طَيِّباً وَيُعْطَى إِذَا ضَنَّ البَخِيلُ المُصَرِّدُ

فقد كثر الحديث عن طيب مزاياه وخلقه، فقال عنه ابن الأعرابي : " كان حاتم من شعراء العرب، وكان جواداً يشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عرف منزله، وكان مظفراً، إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سبق، وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله ألا يقتل واحد أمه " [2] ، وكان كذلك من خصهم زهير بن أبي سلمى بالمديح في معلقته، وهم (هرم بن سنان) و(الحارث بن عوف) ، لما قاما به من إيقاف حرب عبس وذبيان، التي دامت أمداً طويلاً، وخلفت قتلى كثر، متحملين ديات القتلى، محققين السلام بين القبيلتين، في قوله : [3]

[1] ديوان حاتم الطائي ، 263 .
[2] الأغاني ، أبو الفرج بن حسين الأصفهاني ، تح : د. إحسان عباس ، د. ،براهيم السعافين ، أ. بكر عباس ، دار صادر، بيروت ، ط3 ، 1429ه – 2008م ، ج 17 ، 262 .
[3] ديوان زهير ،105 .

يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيدانِ وُجدْتُما عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سحيلٍ ومُبرمَ

استعار الشاعر لهرم بن سنان والحارث بن عوف سحيل ومبرم، فهما على أتم الاستعداد للكرم والعطاء في جميع الأحوال السهلة أو الصعبة التي تعترض لهم، والاستعارة هنا تصريحية، فقد صرح الشاعر بالمشبه به، وأفادت إظهار عظمتهم وشهامتهم في إيقاف حرب عظيمة دامت أمداً طويلاً، ويكمل بقوله: [1]

تداركْتُما عبساً وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا ودقُّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشَمِ

شبه الحرب التي جرت بين عبس وذبيان بعطر منشم المشؤوم، جاعلاً وجه الشبه انتشار الهلاك والدمار.

ويقول:[2]

وَقَد قُلْتُمَا إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً بمالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنْ الأَمْرِ نَسْلَمِ

فأصبحتما مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ ومأثَمِ

عَظِيمَيْنِ فِي عُليا مَعَدٍّ هُدِيتُما وَمَن يَسْتَبِحْ كنزاً مِن المَجْدِ يَعْظُمِ

فهو يقول شعره مشيداً بالفعل النبيل الذي قاما به، مظهراً عظمة هذين السيدين، موضحاً جمالية أثر خلق إنساني سامٍ في إيقاف حرب طاحنة، جاعلاً من هذا الفعل الجميل مستحقاً التخليد في معلقته، أما جمالية رد الفعل فكان في مديح زهير لهما وإجلالهما، لأن " الشعور الإنساني الأصيل ... أول من يتحرك لدرء الخطر عن وجود الإنسان واستمراريته ... وبوحي من أصالة مشاعرهم هب بعض الجاهليين إلى التنازل عن جزء من ممتلكاتهم أو كلّها لأولئك المهددين بالهلاك، والانتقال من مواقع الأنانية ...إلى مواقع التضحية والإيثار. وتحول الكرم في وعيهم إلى واجب إنساني نبيل، وإلى قيمة

[1] نفسه ، 106.
[2] نفسه ، 106.

اجتماعية سامية، تعيد الاطمئنان "[1]وتنشر السلام في المجتمع، والقبيلة، والأفراد وصولاً إلى النفس الإنسانية.

على أن الكرم الحقيقي لا يقتصر على قضاء حاجات الناس، وتفريج كرباتهم، بل يكون بمراعاة الحالة النفسية للسائل، وإعطائه حاجته عن طيب نفس، وسماحة قلب، لإدخال السرور إلى نفس المحتاج، وعدم إشعاره بالذل والاحتقار، وقد تنبه إلى ذلك عروة بن الورد الذي كان إنساناً راقياً من الدرجة الأولى في تعامله مع الفقراء، فهو كان يعطي حتى وإن لم يسأل، في قوله : [2]

سَلِي الطَّارِقَ المُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إذَا مَا أَتَى بَيْن قَدْرِي ومَجْزِرِي

أيسفرُ وَجْهِي، إنَّهُ أَوَّلُ القِرَى وَأَبْذلُ معروفي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

جعل عروة بشاشة الوجه أول الكرم، أما عمرو بن الإطنابة فقد جعل من المساواة بين الناس، وعدم التمييز بين الفقير والغني من أرفع درجات السلوك الإنساني التي تدل على حقيقة الكرم قائلاً:[3]

والخالطينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ والباذلينَ عطاءَهم لِلسَّائِلِ

فعند حدوث المجاعة في أيام الجدب والقحط، يتساوى حال الناس في الفقر، ما يدفع الصعاليك إلى الغزو للحصول على الطعام، وكما في قول الشنفرى : [4]

وأُعْدِمُ أحياناً وَ غْنَى و إنَّمَا يَنَالُ الغِنى ذُو البُعْدَةِ المُتَبَذِّلِ

على أن اختلال ميزان العدالة الاجتماعية في المجتمع الجاهلي _ من وجهة نظر الصعاليك _ أدى إلى أن يصبح زعماء القبائل وساداتها الطرف المستحق للهجاء في

[1] ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي ، أحمد الخليل ، دار طلاس ، دمشق ، ط1، 175 -176.
[2] ديوان عروة ، 78 .
[3] معجم الشعراء ، المرزباني، تح: عبد الستار أحمد مزاج، دار إحياء الكتب العربية، د . م ، د. ط، 9 .
[4] ديوان الشنفرى ، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت_لبنان، ط2، 69 .

شعرهم، بينما أبقوا المديح لأنفسهم لأحقيتهم به، إذ ليس أعلم بحال الصعلوك إلا صعلوك مثله، يكنّ له التقدير والاحترام في مجتمع نفاهم وطردهم، وأهانهم.

-ارتباط الكرم بالماء ومدلولاته:

إن شجاعة الإنسان، وفروسية الفارس لم تقف على خوض المعارك والحروب، بل إن الفارس أيضاً من كان كريماً جواداً معطاءً، في بيئة عانى قاطنوها من قلة الموارد، وموجات الجوع والجفاف.

ولما كان الماء هو الباعث على الحياة، ومن أساسيات وجود الإنسان والحيوان والنبات، كانت أهمية ارتباطه بصفة أدت إلى تمجيد الإنسان الجاهلي، وتخليده من جهة، ومن جهة أخرى أعانت غيره على البقاء، وساعدته للتغلب على الفقر الذي يكاد يشمل أغلب الأفراد، لأن " المجد الجاهلي، في جميع كيفياته، صورة صادقة لطبيعة الواقع الجاهلي. إنه مثقل بما في ذلك الواقع من طموحات، وغايات، ووسائل. كما أنه تعبير عن نزوع الجاهليين إلى المثالية، وميلهم إلى الاعتصام بالموروث. وهو في الوقت نفسه، تجسيد لمبدأ القوة " [1]، فكرم القلب جسدته الشجاعة، أما كرم اليد فتمثل في الجود.

وقد عبر الشعراء عن كرم ممدوحيهم من خلال جعل يد الممدوح المانحة للعطاء كالسماء التي تمطر مطراً غزيراً، كما في قول علباء بن الأرقم : [2]

وَإِنَّ يَدَ النُّعْمَانِ لَيْسَت بكَزَّةٍ وَلَكِن سَمَاءٌ تُمطِرُ الوَبلَ والدِّيَمْ [3]

أما زهير فقد جعل ممدوحه كالغيث، فهو المغيث والملجأ لمن يلوذ به، في قوله: [4]

وَهُو غَيْثٌ لَنَا فِي كُلِّ عَامٍ يَلُوذُ بِهِ المُخَوَّلُ وَالعَدِيمُ [5]

[1] ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي ، أحمد الخليل ، 175-176 .

[2] الأصمعيات ، الأصمعي ، تح: أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، د . م ، بيروت – لبنان ، ط5 ، د.ت ، 159.

[3] كزة: منقبضة ، ورجل كز اليدين أي بخيل ، الوبل : المطر الغزير.

[4] ديوان زهير ، 119 .

[5] المخول : ذو المال من عبيد وإماء وغيرهم (يلوذ به مستجيراً)، العديم : الفقير (يفزع إليه مستجدياً).

ومنه قول الأعشى : [1]

كالغيثِ مَا استمطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ كالمُسْتأسِدِ الضَّارِي

وقد شبه النابغة الذبياني عطاء ممدوحه بالربيع، متى ما حل أزهرت الأرض، واخضرت، وأنبتت، في قوله : [2]

وأَنْت رَبِيعٌ يُنْعِشُ النَّاسَ سَيْبُهُ وَسَيْفٌ، أُعيرَتْه المَنِيةُ قَاطِعُ

فهو في عطائه يعيد الحياة لمن يعطيه، تماماً كالربيع الذي يعيد ألوان الحياة للأرض بعد فصول جفاف طويلة.

وفي قول الشاعر (هو غيث) وقول الآخر (أنت ربيع) أعطيا الممدوحين الاستطاعة والقدرة للحلول محل الغيث إذا انقطع، ومحل الربيع إذا تأخر، فعطاء كل منهما يهب الحياة بصرف النظر عن تقلبات الطبيعة.

لكن في الوقت نفسه عمد الشعراء إلى التنبيه على قدرة ممدوحيهم وبطشهم، فهو (كالمستأسد الضاري) و(السيف القاطع).

-ارتباط الكرم بالخمر ومدلولاته:

وعلى ما في المجتمع الجاهلي من عادات منافية لتعاليم الدين الإسلامي الذي جاء فيما بعد، إلا أنها حملت في داخلها دلالات إيجابية على التحلي بصفة خلقية نبيلة، فكان شرب الخمر وإتلاف المال فيها دلالة من دلالات الكرم والجود، حتى أن لذة مذاقها قادرة على جعل البخيل ينفق ماله في سبيلها، كقول عمرو بن كلثوم : [3]

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِّرَتْ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينا

[1] ديوان الأعشى ، 88 .
[2] ديوان النابغة الذبياني ، 57 .
[3] ديوان عمرو بن كلثوم ، تح: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان، ط1، 65 .

ولم يقف ولع الشعراء بها عند هذا الحد، بل إنهم وصفوا الإناء الذي وضعت فيه وصفاً دقيقاً، يخيل للقارئ أنها أمامه، كما في قول عنترة : [1]

وَلَقَد شَرِبتُ من المُدَامَةِ بَعْدَمَا ... رَكَدَ الهواجرُ بِالشَّوْف المُعْلم [2]

بزجاجةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسرَّةٍ ... قُرِنَتْ بأَزْهرَ فِي الشِّمَالِ مُفَدَّمِ [3]

فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ ... مَالِي وَعِرْضِي وأَمْرٌ لَمْ يُكلمِ [4]

وَإِذَا صَحوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عن ندىً ... وَكَمَا عَلِمْتِ شمائلي وتَكَرُّمي

فعندما اشتد الحر قام بشرب الخمر من كأس مجلوة منقوشة، وكانت الخمرة موضوعة في زجاجة صفراء مخططة ومعها إبريق مسدود الفوهة ليصب الخمر في الزجاجة، على أنه إذا شرب الخمر يهلك ماله فيه من غير أن يشين عرضه، فهو مهلك ماله، حافظ لعرضه، لأن السُكْر لا ينقص من عقله شيء، لأنه عندما يصحو لا يقصر عن الجود.

وهكذا، فقد مثَّل الجانب المعنوي الجمال الحقيقي للرجل، فهو جميل بأخلاقه النبيلة وفعاله العظيمة التي تثبت رجولته في نظر قبيلته وعشيرته وأهله إذ يروي صاحب الأمالي عن ابنة الخُسّ أنها سئلت : " أي الرجال خير؟ قالت :

خيرُ الرجال المُرهَّقون ... خير تلاع الأرض أوطؤُها

قال: أيُّهم؟ قالت: الذي يُسأل ولا يسأل، ويُضيف ولا يُضاف، ويُصلِح ولا يُصلَح"[5].

---

[1] ديوان عنترة ، 125 .

[2] ركد : سكن ، الهواجر : جمع هاجرة وهي أشد الأوقات حراً ، الشوف : الدينار المجلو ، وأراد به القدح الصافي المنقوش ، المعلم : فيه علامة .

[3] أسرة : الخط من خطوط اليد والجبهة ، أزهر : إبريق ، مفدم : مسدود الرأس .

[4] لم يكلم : لم يشبه عيب.

[5] ذيل الأمالي والنوادر، أبي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1976، 119.
وهي هند بنت الخُسّ، بن حابس بن قريط الإيادية، وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب ... من أهل الدهاء والنكراء، ومن أهل اللسن واللقن. البيان و التبيين، الجاحظ، مكتبة، الخانجي، القاهرة، ط7، 1418ه-1998م، ج1، 312.

فكلها صفات معنوية ولا وجود لأي صفة حسية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية الجانب المعنوي عند تقويم الرجل، وطغيانه على الجانب الحسي.

-نتائج البحث:

-حمل الوعي الجمالي بقيمة الجميل عند الجاهلي سمات النضج واقترابه من الكمال، أكثر من كونه وعياً بدائياً ساذجاً.

-إحساس الجاهلي بالجمال في كل ما يلاحظه حوله، وعدم اقتصاره على المرأة، بدا واضحاً و مدعماً بشواهد شعرية عبرت عن فخر الشعراء بجميل الأخلاق والصفات النبيلة وحرصهم على تضمينها في شعرهم.

-التأكيد على جمال المرأة المعنوي، فهو الذي يجعلها تصل إلى قلب المحب، وليس فقط جمالها الحسي، وذلك من خلال رصد الجاهليين لمكامن الجمال في النظرات والصوت والحديث والرشاقة وعفة المحبوبة.

-أظهر البحث جمالية اتصاف الرجل بالحكمة و الكرم، فقد عشق العرب جميع صفات الرجولة والقوة والرصانة والاتزان.

-برع الشاعر الجاهلي في توظيف ألوان البيان من : تشبيه، واستعارة، وكناية، وتكريسها للتعبير عما يدور في عقله، ووصف ما يراه دقيقاً، فضلاً عن البعد الجمالي لكل لون بياني ؛ فقد عبرت الكناية عن مقصد الشاعر بأسلوب إيحائي ورمزي، وقرَّب التشبيه صورة البعيد وجعلها أقرب للواقع، وساعدت الاستعارة في ابتكار صور خيالية جديدة والتعبير عنها بألفاظ تحمل أحاسيس الشاعر وتنقلها إلى المتلقي، ليكون قادراً على تذوق جمالية العمل الفني.

-لجأ الشاعر إلى تشبيه كرم ممدوحيهم بالماء وارتباط كرمهم بالخمر، لما للماء من أهمية كبيرة في حياتهم، فالماء هو الباعث على الحياة و كذلك الجود و الكرم.

أما الخمر فكان يعبر عن الرغبة في الخلود ورفض الفناء، وعليه فإنفاق المال في سبيله يكسبهم الإحساس بالمتعة ويسمهم بالكرم، والماء والخمر يرمزان إلى استمرارية الحياة، و كذلك الكرم يخلد ذكر من كان جواداً بعد موته، و كأنه يبقى على اتصال مع الحياة.

المصادر و المراجع:

الأصمعيات، الأصمعي، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون ، د . م ، بيروت – لبنان ، ط5 ، د.ت .

الأغاني ، أبو الفرج بن حسين الأصفهاني ، تح : د. إحسان عباس، د. ،براهيم السعافين ، أ. بكر عباس ، دار صادر، بيروت ، ط3 ، 1429هـ – 2008م .

بدائع الحكمة فصول في علم الجمال وفلسفة الفن ، د.عبد الكريم اليافي ، دار طلاس ، دمشق – سوريا ، ط1 ، 1999 م.

البيان و التبيين، الجاحظ، مكتبة، الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ–1998م

تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تح: علي شيدي، دار الفكر، بيروت_ لبنان، 1414هـ – 1994م .

تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، د. شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، سوريا ، د.ط ، 1379هـ – 1959م .

جمهرة أشعار العرب ، أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، د.ط ، د.ت .

ديوان الأعشى الكبير، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لينان، ط1، 1407هـ – 1987م .

ديوان الشنفرى، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت_لبنان، ط2، 1417هـ – 1996م .

ديوان النابغة الذبياني، عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط3، 1416هـ – 1996م .

ديوان امرؤ القيس، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ - 2004م .

ديوان دريد بن الصمة ، تح: د.عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة _ مصر ، د.ط ، د.ت.

ديوان زهير بن أبي سلمى، علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ - 1988م .

ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، تح: د. عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د. ط ، د. ت .

ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تح: درية الخطاب، لطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط2، 2000م .

ديوان عروة بن الورد، أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، 1418هـ - 1998م.

ديوان عمرو بن كلثوم، تح: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان، ط1، 1411هـ - 1991م .

ديوان عنترة، تح: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، د. ط، 1970 م.

ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت

ذيل الأمالي والنوادر، أبي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1976

شرح أشعار الهذليين ، صنعه : أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تح : عبد الستار أحمد فراج ، راجعه : محمود محمد شاكر ، مطبعه المدني ، دار العروبة ، 1384 هـ – 1965 م.

شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق_سوريا، ط2، 1405هـ – 1985م .

ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي ، أحمد الخليل ، دار طلاس ، دمشق ، ط1 ، 1989م.

الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، نهضة مصر ، مصر ، ط1 ، د.ت .

القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، د.ت.

المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ط ، د.ت .

معجم الشعراء، المرزباني، تح: عبد الستار أحمد مزاج، دار إحياء الكتب العربية، د . م ، د. ط، 1379هـ – 1960م .

المعجم الفلسفي ، مراد وهبة ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ط 5 ، 2007 م .

المعجم الفلسفي ، د. إبراهيم مدكور ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، د.ط ، 1403هـ – 1983م .

المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت – لبنان، د. ط ، ١٩٨٢م .

مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، د. ط، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م .

مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن ، د. أميرة حلمي مطر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1989م .

الوعي الجمالي عند العرب قبل الإسلام، د. فؤاد المرعي، الأبجدية للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1989م .

الفعل الإنجازيّ في أسلوب الاستفهام

مقاربة لسانيّة في رواية "بنات حارتنا"

لـ"ملاحة الخاني"

* أ.د مالك ياسين ** ملاذ حرفوش

الملخّص

نظريّة الفعل الكلاميّ الركيزة الأساسيّة للنظريّة التّداوليّة التي سعت إلى تأكيد القوّة الإنجازيّة للكلام، وقد عمل هذا البحث على إجراء مقاربة تداوليّة لأفعال الكلام في رواية "بنات حارتنا"، وذلك باستقصاء أسلوب الاستفهام الذي زخرت به الرّواية، فجرى البحث في مقاصده التّداولية، إذ لوحظ خروج الاستفهام على معناه المباشر إلى أغراض بلاغيّة معيّنة، تساهم في خلق أثر في المتلقّي، ومحاولة تعديل موقفه، وتوجيهه وجهة هادفة تحدّدها الأغراض البلاغيّة المقصودة في السّؤال، فيعرض البحث المعاني الجديدة الّتي تطرّق إليها الاستفهام، ويرصد المقاصد المتوخّاة منه، ويتطلّب فهمُ المقاصد الكامنة في الاستفهام الخارج على معناه النّظرَ في الظّروف السّياقيّة والمقاميّة المحيطة بالملفوظ، إذ يشكّل السّياق بأنواعه ومرجعيّاته قرائن دالّة، تعمل على تحديد الأفعال الإنجازيّة المطلوبة من المتلقّي، وتعيين المقاصد الواقعة في جوهر التّلفظ.

الكلمات المفتاحيّة: أفعال الكلام، التّداوليّة، السّياق، الاستفهام، الرّواية.

*أستاذ. قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللّاذقيّة، سورية.

**طالبة دكتوراه (الدّراسات اللّغويّة). كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللّاذقية، سورية.
malaz19harfosh86@gmail.com

The Speech Acts of the Interrogation Style A Linguistic Approach to the "*Our Neighborhood Girls*" Novel by Malaha Alkhani

[*] Dr. Malek Yassen **[**] Malaz Harfosh**

Abstract

The argument of speech acts is one of the argument of lingual pragmatics، this argument divided into locutionary، illocutionary and preloctionary. I have dealt with saying in speech. It is being as an action achieved، this action to be achieved depends on prior assumption between the speaker and the recipient، each one of them discusses his previous references to make words an action that should be done. All of the above depends on the context.

the Arab scholars is not emptied in his notes of work according to this method، taking into account the saying of speech act، but it came with different terms named as statement and interrogative style، the interrogative style has a functional role in this novel، that we have tried to approach it.

Keywords: speech acts، pragmatics، context، interrogative style ،novel.

[*] Associate Professor, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia , Syria.

[**] P.HD student, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia, Syria. Malaz19harfosh86@gmail.com

المقدّمة:

شكّلت قوّة الفعل الكلاميّ نظريّة لسانيّة اشتغل على تطويرها التّداوليّون، حين وجدوا في الكلمة قوّة إنجازيّة، ورأى الباحثون العرب في الأسلوب الخبري والإنشائي مبحثاً يقابل في بنيته نظريّةَ أفعال الكلام، فعملوا على دراسة الأعمال الأدبيّة وفق هذه النظرية، وفي هذا البحث تمّ الاشتغال على أسلوب الاستفهام بوصفه فعلاً كلاميّاً منجزاً، فعملت اللغة في الرّواية على تنبيه المتلقّي من خلال أساليب الاستفهام الإنشائيّة، وقد زخرت هذه الرواية بالأسلوب الاستفهاميّ الذي لوحظ دوره في التّأثير في المتلقّي عند خروجه على معناه إلى أغراض أخرى ذات معان بلاغيّة متنوّعة.

مشكلة البحث والجديد فيه: تفترض الدّراسة أنّ الأسلوب الاستفهاميّ في رواية "بنات حارتنا" تخطّى المعنى المباشر للاستفهام؛ ليفيد معاني أخرى يوضّحها السّياق المحيط بالجملة الاستفهاميّة، ولأنّ هذا المبحث من ضمن اهتمامات نظريّة أفعال الكلام، شكّل العمل وفق هذه النّظريّة أساساً للكشف عن المقاصد التّداوليّة، والأفعال الإنجازيّة المتوقّعة في الاستفهام الخارج عن معناه.

أهداف البحث وأسئلته: يسعى البحث إلى التّركيز على جوهر التّلفظ وعلى التّأويل من منظور تداولي، من خلال الإجابة عن الأسئلة التي تتمحور في الآتي: ماذا تريد لغة الرّواية الأدبيّة أن تبلّغ المتلقّي؟ وإلام توجّهه من خلال الأسلوب الاستفهاميّ غير المباشر الذي تنوعت أغراضه البلاغيّة؟ وما القوّة الإنجازيّة المحقّقة من تلك الأغراض البلاغيّة؟ وكيف تغدو فعلاً كلاميّاً؟ وما أصناف تلك الأفعال اللّغوية؟

الدّراسات السّابقة: تعدّدت الدّراسات التي تناولت الأفعال الكلاميّة في البحث، من مثل كتاب "مسعود صحراوي"، وعنوانه " التّداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللسانيّ العربيّ"، فتحدّث عن التّيار التّداوليّ الذي اهتمّ بعلاقة النّشاط اللّغوي بمستعمليه، ووقف عند جهود علماء اللّغة العربيّة في دراسة ظاهرة أفعال الكلام في التراث، وذلك ضمن مبحث الخبر والإنشاء، فسعى إلى إثبات احتواء التّراث على مباحث ذات توجّهات تداوليّة، فقد قسم العلماء العرب أسلوب الخبر

إلى كلام يحتمل الصّدق أو الكذب، ورأوا أنّ المتكلّم مسؤول عن صحّة ما يتلفّظ به، أمّا الإنشاء ففي خروجه على معانيه إفادة لمعاني جديدة تتطلّب فعلاً منجزاً.

ومن الدّراسات السّابقة "نظريّة الفعل الكلاميّ بين علم اللّغة الحديث والمباحث اللّغوية في التّراث العربيّ الإسلاميّ، لمؤلّفه "هشام عبد الله الخليفة"، في عام 2007، أفرد اهتماماً لما توصّل إليه "أوستين" في أنّ المقولات التي لا تحتمل التّصديق أو التّكذيب إنجازيّةٌ، فالجملة الخبريّة لا تتوقّف عند حدود الصّدق أو الكذب، ففي سياق محدّد قد تشكّل فعلاً كلاميّاً، ووضّح شروط نجاح الفعل الكلاميّ أو فشله، وعرض مجموعة شاملة من الأمثلة الشّارحة التي تتضمّن جملاً إنشائيّة وخبريّة مترجمة وعربيّة.

منهج البحث وإجراءاته: المنهج المتّبع في الدّراسة هو الوصفي، بأدواته المتمثّلة في الملاحظة، وجمع المادّة العلميّة، وتصنيف محتوياتها، وتحليلها، محدّدين المدّة الزّمنيّة التي تقف عند رواية حديثة تعود طبعتها الأولى إلى تسعينيات القرن الماضي، وتتحدّث عن سورية زمن الاحتلال الفرنسيّ، والميدان المكانيّ الذي يحيط برواية سوريّة المصدر، وصولاً إلى نتائج علميّة وموضوعيّة.

المناقشة والتّحليل: تميّزت الدّراسات اللّسانيّة بطابعها العلميّ الدّقيق عند دراسة الأعمال الأدبيّة على اختلاف أنواعها، وتفوّقت – إن جاز التعبير– الدّراسة التّداوليّة على البنيويّة، حين أولت أهميّة لاستعمال اللّغة وفق سياقات مقاميّة محدّدة نأت عنها البنيويّة سابقاً، وانبثقت النّظريّة التّداوليّة من خلال محاضرات ألقاها "جون أوستين" عام 1955، في جامعة هارفرد، عندما أدخل مفهوماً جديداً هو العمل اللّغويّ، فوجد أنّ اللّغة في التواصل ليس لها أساس وصفيّ بل أساس وظيفيّ عمليّ، ففي استعمال اللّغة تحقيق لأفعال لغويّة، فعُدّ وجود هذه الفكرة النظريّة أساساً للبحث اللّسانيّ في مجال التّداوليّة[1].

[1]– ينظر: موشلر، جاك؛ ريبول، آن. القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة– تونس، سلسلة اللسان، 2010، 22.

ظهرت بواكير نظريّة أفعال الكلام كنتيجة للبحث اللّغويّ الفلسفيّ، فتوقّف علماء اللّغة عند الجمل الّتي وجدوا فيها قوّة إنجازيّة، وأخذت النّظريّة تتوسّع من خلال البحث في جوهر التّلفّظ ومقاصده، وأُدرجت نظريّة أفعال الكلام ضمن النّظرية التّداوليّة، فعمل الباحثون في مجالها على دراسة اللّغة النّصيّة والخطابيّة بالنّظر إلى دور الكلمة في مقام معّين لكلّ من المتكلّم والمتلقّي، واعتنوا بالكلام الإيحائيّ الذي يضمن تحقّقاً مؤكّداً للكلام التّداوليّ، أما السّياق فكان ركيزة أساسيّة في بناء النّظريّة التّداوليّة؛ إذ أُكّد دوره في العمليّة التّواصليّة وأهميّته في الكشف عن المتضمّنات داخل الخطاب والتي له أثر كبير في تحديد معاني الكلام؛ لذا كان هدفها البحث عن العوامل غير اللّغويّة لتوظيفها من أجل فهم أعمق للخطاب[1]، فالكلمة مجرّدة إلّا من معنى واحد خارج سياقها، أمّا حضورها في سياقات متنوّعة فهو حضور يحمل معنى ضمنياً جديداً ومقصوداً.

وقد شكّلت نظريّات متعدّدة أسساً أحاطت بالتّداوليّة واندمجت معها، أبرزها نظريّة أفعال الكلام التي رأت في اللّغة قوّة إنجازيّة، وإذا كان مفهوم "القوّة force يُستعمل في مجالات علميّة ومعرفيّة عديدة في الفيزياء وعلم النّفس والفيزيولوجيا وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم، فإنّه يُستعمل كذلك في مجال اللّغة وعلم اللّغة"[2].

الفعل الإنجازيّ وشروط نجاحه: ارتبطت نشأة نظريّة الفعل الكلاميّ بعمل أوستين على دراسة الكلام؛ لمعرفة قوّته الإنجازيّة، متوقّفاً عند الجمل الوصفيّة والإنشائيّة، وناقش النّصوص المتاحة والمحادثات العامّة، وانتهى به القول إلى أنّ الكلام الوصفيّ والإنشائيّ الذي يحتمل صدق المعنى أو كذبه يشكّل قوّة إنجازيّة؛ أي الوصف والإنشاء يشكّلان عملاً منجزاً يقوم به شخص ما، وحدّد أنواع أفعال الكلام speech

[1]–ينظر: البستاني، بشرى، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب–لندن، ط1، 2012، 15.

[2]– العزاوي، أبو بكر. اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006، 134.

act: فعل الكلام locutionary، و لازم فعل الكلام illocutionar ، وأثر فعل الكلام prelocutionary[1]

هناك سؤالان مهمّان، هما: كيف نقول كلاماً ونحن نريد منه فعلاً عمليّاً؟ وهل يغدو أيّ ملفوظ فعلاً كلاميّاً بمجرّد التّلفّظ به أم أنّه يخضع إلى ضوابط؟ إذا اعتقدنا أنّ الفعل الكلاميّ هو الوحدة "التي بفضلها تحقّق اللّغة فعلاً بعينه... غايته تغيير حال المتخاطبين، فإنّ المتلفّظ المشارك... لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلّا إذا اعترف بالطّابع القصديّ لفعل المتلفّظ، وهكذا فإنّ كلّ فعل لغوي يندرج في إطار مؤسّساتي يحدّد مجموعة من الحقوق والواجبات بالنّسبة للمشاركين في عمليّة التّخاطب، ويجب عليه أن يلبي عدّداً من شروط الاستعمال التي هي عبارة عن شروط النّجاح"[(2)]، فالكلام الذي ينطوي على مقاصد تسعى إلى الوصول إلى المتلقّي لتنفيذها تتطلّب جملة من الشّروط التي يُفترض توافرها لدى مستقبِل النص، فما هذه الشّروط؟ وكيف تتحقّق؟

ليس التّلفّظ بكلمة يعني إنجاز فعل ما إن لم يرتبط التّلفّظ بظروف محدّدة، منها: وجود أناس محدّدين في موقف محدّد في أثناء النّطق بالكلمة المحدّدة، ويفترض أن يتمّ الإجراء بصورة صحيحة وتامّة من أشخاص مناسبين وفقاً لمقام يجمع المتكلّم والمتلقّي المناسبينِ لما ينطق في الخطاب، إضافة إلى وجود دوافع ونيّة للقيام بالعمل مباشرة أو في الوقت المناسب لتنفيذه[(3)]، على سبيل المثال: حين النّطق بكلمة "أفتتح" يُشترط للقيام بعمل الافتتاح وجود السّياقات المقاميّة المناسبة لذلك، وإن لم تكن الشّروط متحقّقة فإنّ الفعل يفقد إمكانيّة كونه فعلاً، ويخرج عن أدنى شروط الفعل الإنجازيّ.

---

[1]– أوستين، جون لانكشو. نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: قنيني، عبد القادر، أفريقيا الشرق، المغرب– الدار البيضاء، ط2، 2008، 16.

[2]– مانغونو، دومينيك. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، 7.

[3]– ينظر: الخليفة، هشام العبد الله. نظرية الفعل الكلامي العربي الإسلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث، الشركة المصرية العالمية، مكتبة لبنان ناشرون، 2007، ط1، 43–44.

واندرج مفهوم القصد وأبعاده في قائمة المصطلحات التّداوليّة، وجاء عقب سؤال معيّن هو: كيف نقول شيئاً ونقصد شيئاً آخر، و لاحظ "سيرل" "أنّ التّأويل الكافي لجُمَل اللّغات الطّبيعيّة يصبح متعذّراً إذا اكتفينا بما تحتويه اللّغة من معلومات، وأبرز مثال على ذلك المثال المشهور: "هل يمكنك أن تناولني الملح؟"، التي ظاهرها استفهام، ولكن دلالتها لا تشير البتة إلى الاستفهام، إنّما تشير إلى الطّلب"[1]، فليس كلّ كلامنا مباشراً، بل يغدو في سؤال مشابه للسّؤال السّابق طلباً مؤدّباً يرتبط بمقام ما، ويحيل السّياق بقرائنه على المقصد وراء الاستفهام.

أسلوب الاستفهام وأثره الإنجازيّ في الرّواية: عدّ العرب أسلوب الخبر والإنشاء من المباحث المنتمية إلى اللغة الإنجازيّة التي توقّف علماء اللسانيّات الغربيّة عندها[2]، فهناك دارسون رأوا أنّ التداوليّة "منهج قائم في منظوماتنا التّراثيّة... وما تصنيفهم للكلام إلى خبر وإنشاء وطلب وما يتفرّع من هذه الأصناف الثّلاثة إلّا دليل على تلك الدّقة"[3]، وجاء هذا الاستنتاج عقب سعي اللّسانيين العرب إلى توضيح الوارد الغربيّ، والعمل على إجراء المقارنة بين ما وفد إليهم وما كان لديهم في التّراث، فرأوا أنّ نظريّة أفعال الكلام تتقاطع إلى حدّ كبير مع أسلوب الخبر والإنشاء، مع وجود فروقات واصطلاحات لا تنفي التّشابه.

أمّا الأسلوب الإنشائيّ فهو: "قيل على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، وقد يقال على فعل المتكلّم، أعني إلقاء الكلام الإنشائي"[4]، هو كلّ كلام لا يحتمل الصّدق أو الكذب بمفهومه العامّ، لأنّه ليس لمدلول لفظه قبل النّطق به واقع

---

[1]– بلخير، عمر؛ بو عياد، نوارة. مارس 2012، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مجلة الأثر، ع13، 72.

[2]– ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة– بيروت، ط1، 2005، 6.

[3]– الزاملي، لطيف حاتم عبد الصاحب.2013، الكلام عملاً– مقاربة تداولية، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، م16، ع1، 60–61.

[4]– الجرجاني، علي بن محمد الشريف. كتاب التعريفات، مكتبة لبنان– بيروت، د.ط، 1985، 40.

خارجيّ يطابقه أو لا يطابقه، إنّما يتطلّب لفظه التّعبير عن فكرة أو طلب عمل ما؛ إذ عُدّ الاستفهام أحد أنواع الإنشاء الطّلبي؛ فهو يتطلّب إفهاماً عن أمر ما، غير أنّه يتجاوز طلب الإفهام بحثاً عن معاني أخرى توضّحها السّياقات الكلاميّة، فبلاغياً "هذه الأدوات قد يستفهم بها عن الشّيء "مع العلم به"، وهكذا يكون لها دلالات مجازيّة تفهم من سياق الكلام بوساطة قرائن الأحوال"[1]، وهنا يكمن دور الاستفهام الإيحائيّ غير المباشر، فلا يحقّق كلّ سؤال معنى السّؤال، ولا سيّما حين يدخل الكلام في إطار الخطاب أو العمل الأدبيّ؛ إذ يُبنى الأدب على خرق مبدأ اللّغة العلميّة المباشرة، ويقترض أساليبه اللّغويّة الإيحائيّة التي تكفل أدبيّته من البلاغة، بما تنضوي عليه من آليّات تحقّق إبداعيّة النّصّ.

أمّا المنظور التّداوليّ لأسلوب الاستفهام فيرى أنّ الفعل الكلاميّ لا يقف عند معنى ضمنيّ، بل يتعدّاه في محاولة منه إلى جعله فعلاً منجزاً يلتزم به كلّ من المتكلّم والمتلقّي، ويظهر المقصد –وهو موضوع الإنجاز– من خلال كشف الوظيفة اللّغويّة للكلام، وفي هذا البحث يتمّ العمل على رصد الأفعال الكلاميّة الواردة في الاستفهام في رواية "بنات حارتنا"، فالرّواية الواقعيّة بطبيعتها تحمل قضايا العصر وهمومه، ولا تكتفي برصد تلك القضايا، بل تعمل على إثارة تفاعل المتلقّي.

[1]– العاكوب، عيسى علي. المفصّل في علوم البلاغة العربية المعاني– البيان– البديع، منشورات جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 2000، 270.

التّطبيق والمناقشة: جاء في رواية "بنات حارتنا"* قول الأب الذي يعبّر عن رأيه أمام عودة ابنته "لينا" إلى منزله مع بناتها بعد خلاف مع زوجها: "**يا بنتي. البيت بيتك، والبنات بناتك، شرفك. أعرف أنّه قذر، ولكن ما العمل؟ اذهبي معه الآن وسنرى**"[1]؛ إنّ دراسة لغة الاستفهام في الكلام عند سؤاله "**ما العمل؟**" يحيلنا على عمليّة لسانيّة تأويليّة، فقد تقول كلاماً وتفيد منه مقاصد غير مباشرة، مقاصد يحدّدها سياق اللّغة ومقام المتخاطبين؛ إذ نلاحظ أنّ السّؤال يخرج على كونه استفهاماً يتطلّب الإفهام والإجابة، أو التّوضيح والتّفسير، إلى معنى يفيد التّحسر*، فهو يثبت مصيراً غير قابل للتّغيير، كما أنّه يتحسّر على هذا الزّواج المحكوم عليه بالفشل، وعلى فقدان القدرة على تغيير المصير المحكوم بديمومته، ويكشف السّياق اللّغويّ سوء الزّوج، وإدراك الأهل لحقيقة ذلك "**أعرف أنّه قذر**"، فضلاً على مقام المتكلّم "الأب" الذي يتمتّع بسلطة اتّخاذ القرار الأسريّ، غير أنّه يُصدر حكمه بالرّضا والاستسلام، بعد أن انتقلت سلطة الحكم إلى الزّوج بشكل تلقائيّ، فيفرض سلطته الذّكوريّة بإنهاء الحوار، وإغلاق منافذ الحلّ في وجه الابنة المحكومة بالتّنفيذ. إنّ السّياق اللّغويّ بمرجعيّاته يدلّ على استحالة إيجاد الحلول، فقوله: "**البنات بناتك، شرفك**"، يحمل معنى ضمنيّاً يُذلّ من خلاله المرأة،

* "ملاحة الخاني" كاتبة سوريّة ولدت في دمشق(1935) ، لها أعمال روائيّة وقصصيّة، نشرت هذه الرّواية عام 1998، تدور أحداث الرّواية في دمشق في زمن الانتداب الفرنسيّ، تقصّ لنا حكاية أسرة دمشقيّة يتألّف أفرادها من الأب والأمّ وشابّين وثلاث بنات إحداهنّ "سلمى" بطلة الرّواية، تواجه الأسرة مجموعة من الأحداث التي تعبّر عن الحياة الاجتماعيّة التّقليديّة في البلاد، وعن الظروف الاقتصاديّة الصّعبة التي تمرّ على سورية، فتحكي لنا أحداثاً تعبّر عن توجّهات "مها" المتزوّجة والمرتبطة بجوّ أسريّ تقليديّ يقيّدها، وعن "هدى" التي لا تختلف حياتها جدّ اختلاف عن "مها" غير أنّها تحاول أن تدعم أختها "سلمى" وتشجّعها لتكون امرأة مستقلّة، إضافة إلى "عادل" و"سامي" اللذين يختلفان بطباعهما وسلوكهما عن بعضهما، ففي حين يدعم "سامي" أخته ويشجّعها، يمارس "عادل" سطلة الذّكر عليها، أمّا "سلمى" فهي فتاة طموحة تسعى إلى العلم والعمل، مواجهةً صعوبة مراس أخيها الأكبر "عادل" الذي يقف عائقاً في وجهها مستغلاً هامشيّة دور والديه، فتعمل جاهدة من أجل تنمية أفكارها وتحقيق ذاتها، متحدّية الواقع والمكان والزّمان معاً.

[1]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، اتحاد الكتّاب العرب، سورية، 1998، 8.

* ينظر: العاكوب، عيسى علي. المفصّل في علوم البلاغة العربية المعاني– البيان– البديع، 277.

فعودتها محفوفة بمخاطر السّمعة، سمعة الأمّ وبناتها، ويعزّز ذلك يأس الأب، ويثير حسرته، غير أنّه ينجز فعله الكلاميّ، ويرجع بابنته إلى منزل الزّوجيّة المحكوم عليها به، فيغدو الزّواج سبباً من أسباب ضعف المرأة وانهيار قواها.

وما ينفكّ الهمّ الوطنيّ ملازماً للهمّ الاجتماعيّ؛ إذ يدور حوار بين الصّديقين "سامي" و"عادل"، يقول فيه "سامي": "**كيف لا نحارب فرنسا التي طردت أبي من عمله، وهي حليفة إنكلترا، كلّ يوم اضطراب وقتلى وجرحى؟**"[1]؛ يمثّل الاستفهام بلفظه المنطوق فعل القول، ويشكّل فعل اللّاقول أساساً للقصد المطلوب تحقيقه، فحرب السّوريين مع فرنسا في القرن الماضي شغلت جزءاً عظيماً من تفكير النّاس، وانعكست أصداء أفكارهم وهمومهم في كلامهم وأفعالهم، فتجد "سامي"، وهو أخٌ لـ"سلمى" بطلة الرّواية، منخرطاً في هذا الهمّ، ومتأثّراً بانعكاساته على البلد، فاستعمار الأرض وقتل سكّانها وانعكاسات وجود المستعمر في الأرض من فوضى وضياع، حرّك الضّمير الوطنيّ لدى "سامي"، فخرج سؤاله عن طلب الإفهام إلى التّحضيض*، إنّ قيمة التّحضيض تتمثّل في ردّة الفعل عليه؛ وهنا يأتي دور أثر فعل القول المتمثّل في تحقق العمل، فهو يوجّه دعوة إلى الدّفاع عن الأرض، والوقوف في وجه أي مستعمر طامع، وقد توخّى المتن قرائن سياقيّة تفضح جزءاً من الانتهاكات التي تشكّل أساساً لهذه الدّعوة الدّفاعيّة، "**طردت أبي من عمله ... كلّ يوم اضطراب وقتلى وجرحى**"، فشّكل السّياق المرجعيّ حجّة لغويّة تعزّز الدّافع لدى المتلقّي، وتحرّضه على الحرب من أجل الاستقلال الوطنيّ، وهو طلب مشروع.

وما إن تحقّق الاستقلال السّوريّ، تسمع صوت الأب يقول في يوم الجلاء متحمّساً: "**هل نقوى على تحمّل هذا الفرح... في ودّي لو أضمّ النّاس جميعاً بذراعين خالصتين من البغضاء، هل يمكن للمرء الذي فتح عينيه على المظالم والاضطرابات والمظاهرات والغلاء والقتلى والشّهداء أن ينسى هذا اليوم؟ يوم الجلاء**"[2]، انتشاء الأب

---

[1]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 21.

* التحضيض "وهو الطلب برفق". مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 2007، 112.

[2]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا ، 56.

بجلاء المستعمر الفرنسيّ تدعوه إلى تقدير هذا الحدث الجلل، فيغدو سؤاله تعظيماً **، إنّه تعظيم لفرحة النّصر، في لغة استفهاميّة تدعو المتلقّي إلى تلقي الغبطة، والاستبشار بها، فرحة الاستقلال بما يعود عليه من عزّة وكرامة، فتشكّل التّعظيميّات الكلاميّة هدفاً بحدّ ذاتها؛ إذ تجذب المتلقّي إلى تذكيره بعظمة يوم الجلاء، وتحفيزه على التّمسك بنتائج هذا اليوم، فالاستقلال غاية الشّعب الحرّ، وهو لا يُمنح إلّا بالتّضحيات، ويدلّ الافتراض المسبق لما عدّده من النّكبات التي مرّت ثقيلة على كاهل النّاس على وقوع قلقلة محليّة على المستويين الاجتماعيّ والسّياسيّ، فيغدو الفرح بالاستقلال فرحاً موازياً بالأمان والطّمأنينة لدى النّاس.

وتستمرّ أحلام "سلمى" بالاتّساع عندما يُعرض عليها أداء دور تمثيليّ، وهي التي تودّ لو تؤدّيه: "**هل تجاوزت المحرّمات بقبولي هذا الدور؟ ولكن ما عساي أن أفعل وأنا التي تتفجّر الأسئلة في رأسي حول الكون والكائنات والنّاس والوطن والوطنيّة، هل أنا مجنونة أمشي على رأسي غير آبهة بالعائلة وبالتّقاليد وبالمحرّمات؟**"[1]، في هذا المتن تسأل "سلمى" نفسها جملة من الأسئلة التّقريريّة* التي تشكّل عاملاً حراكيّاً يدفعك إلى القيام بأفعال إنجازيّة، فإذا نظرنا إلى سياق اللّغة، نجد أنّ العمل الذي قامت به إقرارٌ بالخروج عن إطار المباح والمسموح به دينيّاً واجتماعيّاً، واعتراف بتجاوز الضّوابط المعترف بها، غير أنّ الرّابط "لكن" رابط تسويغ تداوليّ، يوضّح أسباب قبول ممارسة المحظور "الفنّ"، فالأسئلة الّتي تدور في الرأس على حدّ تعبير "سلمى" أسئلة حرّضتها على الفعل الإنجازيّ، وهو قبول دور التّمثيل، فكانت ردّة الفعل دليلاً على ما هو أسمى من مجرد أداء دور تمثيليّ. ويعبّر السّياق اللغويّ عن حال من التّحرر الدّاخلي، وعن رغبة جامحة تدفعها إلى البحث عن أجوبة وجوديّة تبدأ من الإنسان وتنتهي بالكون، فالسّعي وراء الفنّ له معان ضمنيّة تداوليّة، الفنّ حريّة من جهة، ومجال للتّعبير وإبراز

**من معاني الاستفهام: التعظيم، ينظر مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية، 113.

[1]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 74.

*التقرير: "حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده"، مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 114.

القوّة الإنسانيّة في أداء كلّ الأدوار التي يُحجم الإنسان عن القيام بها من جهة أخرى. إنّ الإقرار بسلوك يدلّ على مسّ من الجنون الظّاهر في قولها: "**هل أنا مجنونة ...**"، يشير إلى خوف الشّخصيّة، وتردّدها من عمليّة كسر الضّوابط والقواعد، لكنّه اعتراف يثير المتلقّي، ويبعث في ذهنه أفكاراً متناقضة، تتمحور في الإقدام والإحجام، ويدلّ السّياق الاجتماعيّ على رغبة "سلمى" في الانعتاق من القيود، والتّحرر من الضوابط، والسّير في طريق الفنّ المحفوف بالشّهرة و بالنّظرة الاجتماعيّة السّلبيّة غالباً، وهو أمر يتطلّب جرأة وقوّة ذاتيّة لدى المرء، وبخاصّة عندما يكون هذا المتهوّر امرأة، تحيط بها جملة من التّحفظات الأكثر تعقيداً مقارنة بما يحيط بالرجل.

لم تخرج "سلمى" على سيطرة الأهل، وعلى تحكّم الأشقّاء، والشقيقات كذلك، فتراها واقفة أمام عرض زواج مدبّر، تقول "سلمى": "**هل أضع القيد في عنقي بملء إرادتي وحرّيتي لأعيش مع أمّيّ يضمني إلى حريمه مستقبلاً؟ من يردّه، يصدّه، من يردعه، ولديه أكبر قوّة محرّكة في العالم: المال؟!**"[1]، توضّح الجملة الخبريّة التّقريريّة "**لديه أكبر قوّة محرّكة في العالم: المال**" حتميّة الاعتراف بسلطة المال، وبسلطة مالكه، فامتلاك الرجل الذي سيتزوّج منها المالَ يقود إلى امتلاك المرأة، ويشير السّياق اللغويّ إلى وضعين متناقضين، فتمتّع الشّخصية بحرّيّة ما قبل الزّواج يتنافى مع التّمتع بها بعد الزواج، فالزّوج يحظى بسلطة مُشرّعة أصولاً، والرّجل المقترح زوجاً وفق السّياق الاجتماعي "أمّيّ"، ويشكّل هذا الملفوظ بدوره قرينة دالّة على افتقار هذا الرّجل إلى مفاهيم حقوق المرأة، وهو ثريّ، ويمتلك مجموعة مغلقة من الحريم، فيخرج الاستفهام في هذا السّياق المقاميّ على معناه ليغدو استفهاماً تهويليّاً* تحريضيّاً، يحمل معه معاني ضمنيّة، فالمسألة لم تعد تقتضي فعلاً إنجازيّاً ترفض فيه ومن خلاله الزّواج، أو تقبل به، إنّما غدا القصد مرتبطاً بالبحث عن الذّات، وإثبات حضورها، ودعمها بالانتهاض بها خارج سلطة المال أو الرّجال.

---

[1]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 97.

* التهويل "يكون للتخويف"، مطلوب، احمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 115.

إنّ تحقّق الذّات يبدأ بوصفه فعلاً إنجازيّاً جاء عقب تسجيل "سلمى" في الجامعة لمتابعة تحصيلها العلميّ، تقول: "**ماذا حققت؟ ... هل حقّاً تحرّرت بنجاح من سلطة الذّكور النتنة؟**"[1]، فالاستفهام هنا للتّقرير، إنّ القول فعل كلاميّ، يشير إلى تحقّق ذات المرء واستقلاليّته أمام هيمنة الآخر، يتمثّل في الارتقاء على السّطلة الأبويّة "البطريركيّة"، فالدّهشة في الاستفهام عامل تحريضيّ يثير المتلقّي، ويحضّه على التّحرّر من القمع والاضطهاد والسّيطرة الممارسة بحقّه، إنّ نجاح "سلمى" وتأهّلها إلى المرحلة الجامعيّة شكّل انتصاراً نسائيّاً أمام سطوة مجتمع يضع عقباته في طريق العلم، وبخاصّة في وجه الحلقة الأضعف اجتماعيّاً، وهي كما يتضّح المرأة، الأنثى، بحسب ما يدلّ الاقتضاء التّداوليّ في نسب كلمة السّلطة إلى "الذّكور"، إنّ هذه المشكلة بحدّ ذاتها مأساة مجتمع، تسأل فيه امرأة تقليديّة بسيطة المعرفة عن ماهيّة الحبّ: "**وكيف يكون الحبّ بين زوجين يا ترى؟ ... والأولاد الخمسة من أين أتيت بهنّ.. هل تعلن المرأة رغبتها بالّرجل أيضاً؟ همست خجلة. حاورت نفسي: أكانت حياتها اغتصاباً وجسدها لحماً مستباحاً طوال ثلاثين عاماً من الزّواج؟**"[2].

يشكّل الاستفهام التّهكميّ* فعلاً إنجازيّاً على سبيل التّنبيهيّات والإرشاديّات في قولها "**والأولاد الخمسة من أين أتيت بهنّ؟**"، فالعجز العاطفيّ بين الزّوجين واقعٌ اجتماعيّ تعيشه شريحة شعبيّة كبيرة، والزّواج المبنيّ على أسس غير متينة يُحكم عليه بالفشل؛ إذ يشكّل سوء العلاقة الزّوجيّة هدماً لهذه النّواة الصّغيرة التي تمثّل أساساً للمجتمع بأسره، بل هي صورة مصغّرة عن المجتمع كاملاً، واستنكار هذا الزّواج يقتضي الدّعوة إلى التّخلص منه، في إشارة إلى تدنّي واقع المرأة، واختزالها بكونها جسداً بلا روح، و"تحتلّ المرأة في المجتمعات التّقليديّة الموقع الأدنى؛ لأنّها تعيش وضعاً مركّباً من الاستعباد والتّهميش والدّونية، يختلف في نوعه ودرجته عن وضع المرأة الغربيّة، حيث

[1]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 102.

[2]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 103.

*يخرج الاستفهام عن معناه إلى معنى يفيد التهكم. يُنظر: مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص115.

بلورت النّسويّة مفاهيمها حول الجسد والهويّة الأنثويّة"[1]، ليست المرأة الغربيّة في وضع يبهر أو يدهش المرأة العربيّة، ولا يجعلها في موضع تفوّق بارز، لكنّ الاختلاف القائم اليوم بين المرأة العربيّة والغربيّة ليس خافياً على أحد، فسؤال الزّوجة يدلّ على إخفاق العلاقة الزّوجيّة؛ إنّ الاستفهام غير المباشر في: "**أكانت حياتها اغتصاباً وجسدها لحماً مستباحاً**" يخرج إلى معنى التّهكم، والاستفهام هنا وسيلة لبلوغ مقاصد تداوليّة تعدّ الهدف بحدّ ذاته، فالتّهكم يثير في نفس المتلقّي نفوراً من ملابسات المسألة التي تجعل من المرأة جسداً بلا مشاعر، وتحفّزه على الغضب والرّفض، في دعوة إرشاديّة إلى دفاع المرأة عن جسدها، والثّقة بنفسها، وإعلاء عقلها ومشاعرها على جسدها.

تبدو آثار الحياة الجديدة على هذه الفتاة واضحة حين ترفض "سلمى" الانصياع إلى أخيها الغاضب من نمط حياتها، وبخاصّة عقب دراستها في الجامعة، تقول بعد عراك نشب بينهما ردّت فيه على أخيها ردّاً عنيفاً: "**هل يُعقل أنّني فعلت ما فعلت معه؟ وهل يُعقل أن أعود نعجة يسيّرها هو أو غيره كما يريد؟**"[2]؛ تسأل متعجّبة من سلوكها الّذي فاجأها هي ذاتها، وهي التي لم تنشأ على الوقوف في وجه رجل؛ إذ يوضّح الافتراض المسبق الذي قاده السّياق في قولها: "**أعود نعجة**" أنّها فتاة مسيّرة لا مخيّرة، وأنّها تفتقر بتسييرها هذا صفاتها الإنسانيّة، فتتّسم بالضّعف والجبن، كما أنّها تُدرك مدى ما يعترضها من انتهاكات نفسيّة وسلب للإرادة، مع فقدان القدرة على أن تردّها، فيعمل الاستفهام الخارج عن معناه إلى معنى الإنكار على التّحريض، للوصول إلى مقاصد على الصّعيد الإنسانيّ، وبذلك تكون "وظيفة اللّغة من منظور تداوليّ أكثر من وسيلة إيصال المعلومات والمدركات بين المتخاطبين، فهي تدفع المتلقّي إلى التزام سلوك معيّن تجاه ما يتلفّظ به المتكلّم، كما تحدّد العلاقة القائمة بينهما من خلال السّياق الثّقافيّ والاجتماعي المحيط بهما، والقوانين الّتي تتحكّم في خطابهما، وتبرز مقاصد المتكلّم ومراده في

[1]– إبراهيم، عبد الله. السرد النسوي الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد، المؤسسة العربية للدراسات، ط1، 2011، 45.

[2]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 121.

الخطاب، ودور المتلقّي وردود أفعاله تجاه ما يتلقّاه"[1]، فإذا أخذنا مفهوم اللّغة بقصد العمل لا الإبلاغ نجد أنّ الاستفهام لا ينتظر ردّاً بالقبول أو النّفي، ليعطي معلومة عن واقع تعيشه امرأة، بل تسعى اللّغة إلى رفض واقع مسيء ينتهك الإنسانيّة، وتدعو إلى التّمسك بالحقوق المستلبة، وتتوخّى لغة المتن التّأثير في المتلقّي، وإثارة مشاعر سلبيّة تجاه استكانته، لرفض التّبعية الإنسانيّة العنصريّة التي يفرضها رجل على امرأة.

وعقب ذلك يدبّ الخلاف في العائلة أمام رغبة "سلمى" بالسّفر، فتدور أسئلة عدّة في ذهنها نتيجة ردّة فعل أخيها ومحاولة منعها، تقول: "**هل يخاف الجريء على اسمه من أخت ستسافر إلى بلد شيوعيّ لا يعرف الأخ أخته فيه وإلى مجتمع مجهول ملحد مليء بالأخطاء. هل يخشى على منطلقاته التّحرريّة من الانهيار؟**"[2]؛ يشكّل الاستفهام شرحاً وتفسيراً وتحليلاً لأسباب رفض الأخ سفر أخته، فيتمثّل في شكله التّقريريّ، ويحاول إثبات جزء من الأسباب والدّوافع الكامنة وراء رفض سفر الفتاة إلى دولة تتمتّع بهامش من الحرّيّة الّتي تُحرم منها في بلد يسعى إلى إحاطة النّاس بجملة من الضّوابط السّلوكيّة والقواعد الاجتماعيّة والمبادئ الدّينيّة، فيمارس الأخ بوصفه ذكراً سلطته على الأخت بوصفها أنثى، ويبدو أنّ وضع المرأة العربيّة جزء من تراتبيّة قمعيّة شموليّة تطال مختلف مفاصل حياتها الاجتماعيّة، ومن ثمّ فإنّ الرّدّ على واقع المرأة ومواجهة كلّ مظاهر القمع والتّخلف المحيطة بها جزء من عمليّة صراع اجتماعيّ شامل[3]، فصوت الفتاة الصّارخ بتلك الأسئلة صوت واع وثائر، صوت يقرّ بوقائع تثير في النّفس شعوراً بالغضب، ورغبة في المواجهة، تقول أختها "هدى" في محاولة لمساندتها لها: "**لماذا نكبت طموح زهرة متفتّحة نحو الجيد من اللا مألوف؟**"[4]؛ فيحمل السّؤال معنى طلب القيام بفعل

---

[1]– جودي، حمادي منصور. ديسمبر 2013، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج مقاربة مفاهيمية، مخبر اللسانيات واللغة العربية حوليات المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع1، 106.

[2]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 124.

[3]–ينظر: أبو نضال، نزيه. تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885–2004)، الأردن– دار فارس، بيروت– المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004، 14.

[4]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 125

إنجازيّ، والالتزام به، وهو استفهام على سبيل التحّضيض[1]، يُدعى المتلقّي من خلاله إلى البحث عن أفق جديد في الحياة، إلى الخروج عن النّمطية الفكريّة والسّلوكيّة، إنّ سفر "سلمى" فتحٌ لحياة جديدة وآفاق غير تقليديّة، إنّه دعوة إلى البحث والاستكشاف وكسر المألوف، وصولاً إلى اكتشاف الذّات نفسها، فتمثّل كلمة "اللامألوف" قرينة سياقيّة دالة على سلوك يرتبط بعمل جديد، هو مدعاة إلى التّجريب من أجل المعرفة والاطلاع في سبيل إثبات الذّات.

وعندما تحقّق "سلمى" انتصارها الأوّل في سفرها، تُفاجَأ بهيئة استقبالها في روسيا، قائلة: "**هل يُقبل الإنسان على إنسان غريب بهذه اللهفة، هل تختلط الدّماء مع الماء يوماً ليصبح الجميع أخوة، لا حرب، ولا مؤامرات، ولا أسلحة، ولا قنبلة ذريّة... ماذا تريد الشّعوب أكثر من سلام وخبز وماء وحبّ وحرّيّة؟**"[2]؛ تعجّب "سلمى" من لهفة الغرباء تجاهها جعلها تطلق سؤالها "**هل يُقبل الإنسان على إنسان غريب بهذه اللهفة**"، وهو تعجّب بصيغة استفهاميّة*، إذ تقع "سلمى" تحت تأثير ثنائيّتين ثقافيّتين شرقيّة وغربيّة، تدلّ على ذلك صيغة التّعجب، فيثير الاستفهام بدوره تعجّب المتلقّي، ويثير فيه الرّغبة إلى تقبّل الآخر، بعيداً عن أفكار مسبقة قائمة في خلفيّته المعرفيّة أو الاجتماعيّة أو المكانيّة، ويخرج كذلك الاستفهام في قولها "**هل تختلط الدّماء بالدّماء...**" إلى صيغة التّمني**، والأمنيات تغدو فعلاً إنجازيّاً فيما إذا سعى المرء إلى تحقيقها، فالعالم – وفق افتراض تداوليّ مسبق– يتذوّق جرعة من الصّراعات والنّزاعات والحروب التي كوّنت عالماً مخيّباً لآمال الإنسان، عالماً مدمّراً للبشريّة من دون رحمة، فتدعو الأفعال الإنجازيّة مجدّداً إلى السّلام، السّلام الذي يُبنى على ركيزتين أساسيّتين؛ القوت الذي يعين النّاس على الحياة، والحبّ الذي يجمع البشريّة، بغية القضاء على الفروقات الطّبقيّة والنّزعات العنصريّة.

---

[1]– التحضيض: "هو الطلب برفق"، مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية، 112.

[2]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 131

* ينظر: مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية، 113.

** ينظر: مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية، 115.

وفي عودة "سلمى" إلى أرضها، تقول مخاطبة "أحمد" وهي تأمل لقاءه في يوم رأس السّنة: "– **متى نحتفل كالنّاس وأمام النّاس بلا خوف، ولا وجل؟**

– **قريباً. ليس الآن. تذكريني الليلة.. نلتقي في السّنة الجديدة**"[1].

يمثّل الكلام في ظاهره معنى قد يختلف عن مقاصده، فسؤال "سلمى" الزّمني "**متى**" يرتبط بما يعرضه الافتراض المسبق الدّال على الخوف الاجتماعيّ "**نحتفل ... بلا خوف**"، ليخرج على معناه النّحويّ المباشر، وينتقل إلى المعنى الضّمنيّ الدّاعي إلى التّمني، تدعو "سلمى" صديقها إلى التحّرر من جملة من العادات التي تؤطّرهما في أسلوب استفهاميّ يدل على التّحسر، فما تتمنّاه غير ممكن الحصول في الوقت الرّاهن، إذ يدلّ الافتراض المسبق للكلام على تعذّر ممارسة طقوس حياتيّة احتفاليّة معيّنة نتيجة عوائق اجتماعيّة تسبّب "الخوف والوجل"، غير أنّ السّياق المرجعيّ في الحوار التّفاعليّ يدلّ على رفض الانصياع الدّائم في قوله: "**نلتقي في السّنة الجديدة**"، فيبشّر بيوم جديد يرتقي عمّا سبقه.

تسأل "سلمى" تائهة: " **أحمد أتراك تتشبّث بأمل التّغيير لترسّخ حلماً محقّقاً؟ أتراك تتغلّب على التّنين الأسود في الرّؤوس الموصدة بالحديد والمغلقة على الأنا؟**"[2]؛ يشير الاستفهام إلى رغبة متينة في التّغيير، وفي تحقيق أهداف اجتماعيّة راسخة، فالتّرغيب[3] الّذي جاء في "**ترسّخ حلماً محقّقاً... تتغلّب على التّنين الأسود...**" يبرز من خلال السّياق اللّغويّ للكلام، فالرّغبةُ في التّغيير الاجتماعيّ أو السّياسيّ في وقت غدت فيه الذّات الفرديّة تتفوّق على الجمعيّة أمرٌ ملحّ ذو فائدة جمعيّة، والأمل في ذلك يُؤخذ على عاتق المتكلّم الّذي يحضّ المتلقّي، ويثير فيه الرّغبة في الانتهاض إلى واقع جديد.

[1]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 139.

[2]– الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، 140.

[3]– ينظر: مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، 113.

نتائج البحث: يخلص البحث إلى مجموعة من النّتائج التي تتلخّص في الآتي:

1- عَدّت الدراساتُ العربيّة اللسانيّة أسلوبَ الإنشاء البلاغيّ وجهاً من أوجه أفعال الكلام، فالأسلوب الإنشائيّ -وبخاصّة الإنشاء الطّلبيّ- يشكّل كلاماً طلبيّاً داعياً إلى القيام بفعل ما، يوجّهه المتكلّم إلى المتلقّي، وقد اضطلع الملفوظ الإنشائيّ الاستفهاميّ بمهمّة الفعل الكلاميّ في مواضع متعدّدة من الرّواية، موجّهاً المتلقّي وفق سياقات مختلفة وطبقات مقاميّة معيّنة إلى أداء عمل إنجازيّ، جاءت في أشكال متعدّدة.

2- كشفت دراسة الفعل الكلاميّ في الاستفهام عن الدّور الوظيفيّ المنوط به؛ وذلك عندما خرج على معناه، فجاء الاستفهام بمعنى التّعجب والإنكار والتّقرير والتّمني والتّحسر والتّحضيض والتّعظيم والتّهكم والتّهويل، وعملت المعاني الخارجة عن طلب الإفهام على تحريض المتلقّي بتعديل موقف سابق له واتخاذ موقف جديد.

3- لم يكتف البحث بالوقوف عند دلالة تلك المعاني الخارجة على الاستفهام، بل وقف عند الدّور الإنجازيّ المتمثّل في حضّ المتلقّي على إنكار واقع المرأة الضّعيفة وغير المتعلّمة، والدّعوة إلى تنمية عقلها وجسدها بالعلم والعمل الضّروريين لتحسين واقعها، والخروج على تبعيّة الرّجل ووصايته، والتّهكم من ضعف المرأة، وإثارة موقفها المتمثّل في المواجهة والتّحدي، إضافة إلى الإقرار بواقع المرأة المقيدة والمضطهدة، الواقع الذي يستدعي التّغيير والتّحسين، تعزيزاً لإنسانيّتها، وضماناً لاستقلالها، وإبراز قوّتها.

4- برز الدّور الإنجازيّ التّداولي في الاستفهام عند ربط الهمّ الاجتماعي الدّاعي إلى تحرير المرأة بالهمّ الوطني، من خلال تعظيم موقف المواطن في استقلال البلاد وتحرّرها، وحضّه من خلال ذلك على الحفاظ على شرف استقلال الأرض، إضافة إلى تمنّي الوصول إلى المحبّة بين الشّعوب، وما يترتّب عليه من سلام وإخاء، بعيداً عن الحروب التي تهتك عرض المرأة والرّجل والأرض.

المصادر والمراجع:

1) إبراهيم، عبد الله، السرد النسوي الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد، المؤسسة العربية للدراسات، ط1، 2011.
2) أبو نضال، نزيه. تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885–2004)، الأردن– دار فارس، بيروت– المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004.
3) أوستين، جون لانكشو. نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: قنيني، عبد القادر، أفريقيا الشرق، المغرب– الدار البيضاء، ط2، 2008.
4) البستاني، بشرى، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب–لندن، ط1، 2012.
5) الجرجاني، علي بن محمد الشريف. كتاب التعريفات، مكتبة لبنان– بيروت، د.ط، 1985.
6) الخاني، ملاحة. بنات حارتنا، اتحاد الكتاب العرب، سورية، 1998.
7) الخليفة، هشام العبد الله. نظرية الفعل الكلامي العربي الإسلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث، الشركة المصرية العالمية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2007.
8) صحراوي، مسعود، 2004، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة– بيروت، ط1، 2005.
9) العاكوب، عيسى علي. المفصّل في علوم البلاغة العربية المعاني– البيان– البديع، منشورات جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، د.ط، 2000.
10) العزاوي، أبو بكر. اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006.
11) مانغونو، دومينيك. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعولم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.

12)مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 2007.

13)موشلر، جاك؛ ريبول، آن. القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة– تونس، سلسلة اللسان، 2010 .

الدوريات:

1) الزاملي، لطيف حاتم عبد الصاحب. 2013، *الكلام عملاً– مقاربة تداولية*، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، م16، ع1، 47–66.

2) بلخير، عمر؛ بوعياد، نوارة. مارس 2012، *تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية*، مجلة الأثر، ع13، 40–79.

3) جودي، حمادي منصور. ديسمبر 2013، *بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج مقاربة مفاهيمية*، مخبر اللسانيات واللغة العربية حوليات المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع1، 97–111.

مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة لإتقان مهارات مادة اللغة العربية لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسيها

طالب دكتوراه: سارة النحاس
قسم اللغة العربية - المعهد العالي للغات - جامعة دمشق
الأستاذ الدكتور المشرف: د. حسن الأحمد + د. عزيزة رحمة

ملخص

هدف البحث إلى تعرُّف مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية. ودراسة الفروق وفق متغيرات البحث: (الجنس، المؤهل العلمي، عدد سنوات الخبرة). واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة البحث من (167) مدرساً ومدرسة لغة عربية من مدرسي التعليم الثانوي، وقامت الباحثة بتطبيق استبانة تضم (24) بنداً، وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية: وجود مستوى مرتفع في تقدير أفراد عينة البحث من مدرسي التعليم الثانوي العاملين في مديرية تربية دمشق لمهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي، إذ بلغ مجموع المتوسط الحسابي لاستجابة أفراد عينة البحث (3.47). عدم وجود فروق على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي وفق متغيري: الجنس، وعدد سنوات الخبرة. ووجود فروق وفق متغير المؤهل العلمي لصالح المدرسين الذين يمتلكون مؤهل علمي (دبلوم تأهيل تربوي فأعلى).

الكلمات المفتاحية: مهارة، مهارات الاستماع الفعَّال، التفوق الدراسي.

Effective listening skills necessary to master the Arabic language skills of general secondary education students from the point of view of its teachers

Abstract

The aim of the research is to identify the effective listening skills necessary for academic excellence among students of general secondary education from the point of view of Arabic language teachers. And studying the differences according to the research variables: (gender, educational qualification, number of years of experience). It relied on the descriptive analytical approach, and the research sample consisted of (167) teachers and Arabic language teachers of secondary education, and the researcher applied a questionnaire comprising (24) items, and the study concluded with the following results: The presence of a high level in the estimation of the research sample members of secondary education teachers The employees of the Directorate of Education in Damascus for the effective listening skills necessary for academic excellence, as the sum of the arithmetic mean of the response of the research sample members reached (3.47). There are no differences on the effective listening skills questionnaire necessary for academic excellence according to the two variables: gender, and number of years of experience. And there are differences according to the educational qualification variable in favor of teachers who have a scientific qualification (educational qualification diploma or higher).

Keywords: Skill, effective listening skills, academic excellence.

. مقدمة:

لا شك أنَّ اللغة العربية لها موقعاً مميزاً بين المواد الدراسية المختلفة، فهي بمثابة الرأس من الجسد، وإحدى الوسائل المهمة في تحقيق المؤسسات التعليمية لوظائفها المتعدِّدة؛ لأنَّ اللغة أهم وسائل الاتصال والتواصل والتفاهم بين المتعلم وبيئته، كما يعتمد عليخا كل نشاط يقوم به سواء أكان ذلك عن طريق الاستماع أو القراءة أو التحدُّث أو الكتابة (جاب الله، 2007، 45). وما زال الاستماع هو الرائد الأول لكل نشاط حيوي على الرغم من ظهور القراءة وازدهارها، فالقراءة تنمّي القراءة، والاستماع يثبّت مهارات الاستماع، والتحدُّث يزيد التحدث نمواً وطلاقة واستقامة للألسنة وتنشيطاً للفكر، والكتابة تزيد الكتابة رقّة وعذوبة وصفاء ووفاء (البشري، 2017، 220). وفي ضوء ما سبق يُمكن القول إنَّ مهارات الاستماع تُعدُّ من أبرز وأهم مهارات اللغة العربية، وذلك لأثرها الكبير في اكتساب باقي المهارات اللغوية، ولعمق تأثيرها في المواقف التواصليّة المختلفة، وتبدو أهمية مهارات الاستماع في أنها أداة التواصل السريع بين الفرد والآخرين، والنجاح فيه يحقق كثيراً من الأغراض في شتى ميادين الحياة ودروبها.

يُعدُّ الاستماع من أهم مهارات اللغة العربية، فهذه المهارة هي النمط الطبيعي الذي يعتمد عليه الطالب في سلوكه اللغوي الذي عن طريقه يكتسب المهارات اللغوية الأخرى تحدثاً وقراءة وكتابة لأنه لا يستطيع نطق الكلمات إلا بعد الاستماع إليها، وتعدُّ القدرة على الاستماع والإنصات من أكثر المهارات اللغوية استخداماً حيث أن استخدامها يبدأ قبل سواها من المهارات اللغوية، ويستمر بامتداد عمر الإنسان مدى الحياة والاستماع سبيل من سبل الفرد لزيادة الثقافة، وتنمية قدراته ومهاراته اللغوية في المجتمع الذي يعيش فيه، حيث يمده بحصيلة من المعلومات والمفاهيم والأفكار التي تنمي خبراته ومعارفه وتزيد من ثقافته العامة.

وبما أنَّ اللغة أداة اتصال لا بد لهذه العملية من مرسل ومستقبل، و"الاستماع" هو نصف عملية الاتصال، وهو من أهم مهاراتها اللغوية، بل هو قراءة مسموعة له مميزات القراءة وفوائدها، وربما يزيد عليها إذ أتقن المستقبل الاستماع والإنصات بعقلٍ واعٍ وفهم

المسموع جيداً، وهنا تكتمل فائدة الاستماع في تنمية ثقافة الطالب وزيادة معارفه وتحصيله الدراسي، إذن فالاستماع مهارة مهمة ينبغي أن يتدرب الطلاب عليها منذ بدء تعلُّمهم اللغة (زايد، 2006، 79).

1 . مشكلة البحث:

اهتمت طرائق التدريس الحديثة بالجانب السماعي عند المتعلم كون حاسّة السمع تُشكِّل أساس اللغة العربية، كما أن طبيعة التواصل اللغوي تقتضي متحدثاً ومستمعاً، ولقد ركَّز علم اللغة التطبيقي على أهمية السمع عند المتعلم أثناء عملية التعلم بناء على اتجاهات تعلم مهارات اللغة الحديثة التي تؤكد على اتباع طرائق تدريسية تتماشى مع القدره على الإدراك والتصور.

ويعدُّ الاستماع أول فن من فنون اللغة العربية، وإحدى المهارات اللغوية الأربع المعروفة، وأهمها لأنه يتميز بها الإنسان منذ ولادته، والتدريب هو العامل الأساسي غي اكتساب تلك المهارة والمحافظه عليها فهي تتطلب من المتعلم التركيز والانتباه والدقة؛ حيث أشارت دراسة (Cigerci & Gultekin, 2017) إلى دور مهارة الاستماع الكبير لدى الطالب في تحقيق التفوق الدراسي لأنها نشاط عقلي إيجابي مقصود يقتضي التركيز والانتباه والإدراك للرسالة المسموعة وفهم المقصود منها. كما أشارت دراسة الصويركي (2019) إلى ضعف الطلبة في الاستماع اللازمة لتحقيق النجاح الدراسي والتفوّق فيه، وهذا الأمر يؤثر بصورة سلبية في نتائجهم التحصيلية في مختلف المواد الدراسية.

كما أشار (مدكور، 2002)، و(اللحيدان، 2003) إلى وجود علاقة بين تفوّق الطالب في دراسته وتفوّقه في مهارة الاستماع، فالطالب يُمضي معظم سنوات تحصيله الدراسي مستمعاً ومنصتاً. بهذا يعد الاستماع مهارات لغوية مهمة جداً لأنه يكتب اللغة ويفهم ماذا يقصد المتحدث، ويتم التواصل بين الطلبة الآخرين والمدرِّس داخل الصف الدراسي، كما تعدُّ مهارات الاستماع أساس الفهم العام والمعرفة.

مع هذه الأهمية لمهارة الاستماع إلا أنها لم تلق اهتماماً واضحاً من التربويين، وبقيت مهملة لمدة طويلة في تضمينها في مقررات اللغة العربية في كثير من البلدان العربية أو في تدريسها (البشير، 2005).

وتأكيداً لنتائج الدراسات السابقة قامت الباحثة بإجراء دراسة استطلاعية من خلال مقابلة عدد من مدرّسي اللغة العربية في التعليم الثانوي بمدينة دمشق، لتعرف مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة الثانوي، تبين للباحثة أنَّ هناك قصوراً واضحاً في استعمال الأنشطة السمعية التي تُساعد في تنمية مهارات الاستماع لدى الطلبة، وضعفاً في تهيئة الفرص الوفيرة لتحسين الأداء اللغوي السمعي للطلبة، كما أن الابتعاد عن تدريب الطلبة ينعكس بدوره سلباً على تحصيل الطلاب الدراسي، وقد يُصاب بشي من الملل في داخل غرفة الصف مما يفقد الطالب انتباهه أو تركيزه مع المدرِّس، وبالتالي الابتعاد عن تحقيق الأهداف التربوية المنشودة من العملية التعليمية. مما أدى ذلك إلى قيام الباحثة بإجراء هذا البحث الذي تتحدد فيه، مما دفع الباحثة للقيام بهذا البحث الذي تتحدَّد فيه المشكلة بالسؤال الرئيس الآتي:

. ما مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية؟

2 . أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في النقاط الآتية:

2-1- قد يُعطي هذا البحث إضافة علمية تُساعد الباحثين في الحقل الأكاديمي والسلطات الإدارية العليا في وزارة التربية في تعرف العوامل المؤثر في تطوير مهارات الاستماع لدى طلبة الثانوي، وبالتالي زيادة كفاءتهم اللغوية.

2-2- يُمكن عد هذا البحث مساهمة مع مشروع التمكين للغة العربية الذي يسعى إلى تعميم استخدام اللغة الفصيحة.

2-3- قد تفيد نتائج البحث الحالي أصحاب القرار في المؤسسات التربوية، والتعليمية من أجل توفير بيئة عمل مناسبة لهم تعزز تنمية هذه العوامل.

2-4- قد تفيد نتائج البحث الحالي القائمين على وضع مناهج اللغة العربية من خلال التركيز على مهارات الاستماع الفعَّال وأساليب تنميتها لدى الطلبة، والاستعانة بتقنيات التعليم المناسبة لهاشش.

3 . أهداف البحث:

هدف البحث إلى تعرُّف:

3-1- مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية.

3-2- الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة البحث وفق متغيرات البحث: (الجنس، المؤهل العلمي، عدد سنوات الخبرة).

4 . أسئلة البحث:

سعى البحث للإجابة عن السؤال الآتي:

4-1- ما مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية؟

5 . فرضيات البحث:

سعى البحث إلى اختبار الفرضيات الآتية عند مستوى الدلالة (0.05):

5-1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي وفق متغير الجنس.

5-2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي وفق متغير المؤهل العلمي.

5-3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي وفق متغير عدد سنوات الخبرة.

6 . حدود البحث:

6-1- **الحدود البشرية:** طُبّقت أداة البحث على عينة من مدرسي اللغة العربية في مرحلة التعليم الثانوي العام العاملين بمديرية تربية دمشق في محافظة دمشق.

6-2- **الحدود المكانية:** تمَّ إجراء البحث بمدارس التعليم الثانوي العام في محافظة دمشق.

6-3- **الحدود الزمنية:** تمَّ تطبيق البحث في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي (2021- 2022م).

6-4- **الحدود العلمية:** دراسة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية، والمهارات هي: (الفهم، الاستيعاب، التذكر، التذوق والنقد، التفكير االتقويمي)، وقياسها من خلال الأداة المستخدمة.

7 . تعريف المصطلحات العلمية والإجرائية:

7-1 –**مهارة (Skill):** "هي أداء لغوي يتسم بالدقة والكفاءة فضلاً عن السرعه والفكر" (الخويسكي، 2008، 14).

7-2- **مهارة الاستماع الفعَّال (Active listening skill):** "تُعرَّف بأنها إدراك الرموز اللغوية المنطوقة عن طريق التمييز السمعي، وفهم مدلول هذه الرموز، وإدراك الوظيفة الاتصالية للرسالة المتضمنة في الكلام المنطوق، وتفاعل الخبرة المحمولة في هذه الرسالة مع خبرات المجتمع وقيمه ومعاييره، ونقد هذه الخبرات وتقويمها والحكم عليها في ضوء المعايير الموضوعية المناسبة لذلك" (مدكور، 2002، 196).

وتعرَّف مهارة الاستماع بأنها: "القدرة على فهم اللغة ودلاله تراكيبها" (مصطفى، 2007، 79).

تعرف مهاره الاستماع إجرائياً بأنها: مجمل نشاطات الاستماع التي يؤديها المدرس أمام طلبته، والتي تستلزم من الطالب الانتباه والاهتمام والمتابعة لما يقوله المدرّس لهم، والحكم عليه والاستفاده منه في اكتساب المعارف والحقائق والمعاني والأفكار والاستجابة لها بما يكفل الاندماج في العمليه التعليميه بشكل فعَّال، وبما يساعد على تحقيق التفوق الدراسي لهم.

ومهارات الاستماع الفعَّال في البحث الحالي هي:

- **مهارة الفهم (comprehension skill):** هي " التعرف Cognition والإدراك Perception الصحيح لما تدل عليه الرموز اللغوية على مستوى الكلمة أو الجملة أو العبارة أو الفقرة أو النص، وتحليلها ونقدها والحكم عليها. وهذا المعنى يترتب على معرفة المبنى وصولاً إلى المعنى لبيانه أو تفسيره أو التنبؤ بمقاصده الخفية أو غير المعلنة" (عيد، 2011، 89).

- **مهارة الاستيعاب (comprehension skill)**: هي القدرة على تلخيص المسموع، والتمييز بين الحقيقة والخيال مما يقال، وإدراك العلاقات بين الأفكار المعروضة، وتصنيف الأفكار التي تعرض لها المتحدث" (طاهر، 2012، 143).
- **مهارة التذكر (remembering skill)**: "هو عمليه استرجاع المسموع سابقاً وتذكر محتواه، والاستفادة منه من أجل غرض غير معين" (عطية، 2008، 230).
- **مهارة التذوق والنقد (Tasting and Criticism Skill)**: "النشاط الإيجابي الذي يقوم به الطالب المتلقي استجابة لنص أدبي بعد تركيز انتباهه عليه وتفاعله معه عقلياً ووجدانياً على نحو يستطيع به تقديره له والحكم عليه" (طعيمة، 1987، 53).
- **مهارة التفكير االتقويمي (Evaluative thinking skill)**: "هي المهارة التي تستخدم لتشكيل مجموعة من المعايير من أجل التوصل إلى أحكام معينة عن المقطع الذي يتم استماعه. بمعنى وضع حدود معينة للخيارات المختلفة، كما تساعد في تعلم كيفية المناقشة بشكل عقلاني" (صومان، 2009، 233).

7-3- التفوق الدراسي (academic excellence): عرَّف شنيدر (Schneider, 2009, 7) التفوق الدراسي بأنه: "تجاوز الفرد لحدود المتوسط في قدراته العقلية (اللفظية، وغير اللفظية)، وفي قدراته المعرفية (الإدراك، الانتباه، الذاكرة، التفكير) وفق المجموعة المعيارية التي ينتمي إليها، ويظهر أداءً متميزاً في المجالات البصرية والسمعية بشكل ملحوظ"؛ بينما يعرِّف جانييه (Gagne) المتفوق بأنه: "الفرد الذي يتمتع بأداء فوق المتوسط في مجال أو أكثر من مجالات النشاط الإنساني".

8 . دراسات سابقة:

8-1- دراسات عربية:

. دراسة العنزي (2021)، الأردن: بعنوان: (دور القصة في تنمية مهارات الاستماع الناقد لدى طلبة المرحلة الأساسية في الأردن من وجهة نظر معلمي اللغة العربية).

هدفت الدّراسة معرفة دور القصة في تنمية مهارات الاستماع الناقد لدى طلبة المرحلة الأساسية في الأردن من وجهة نظر معلمي اللغة العربية. استخدمت الباحثة في دراستها المنهج الوصفي المسحي. وتكوّنت عينة الدّراسة من (50) معلماً ومعلمة ممن يدرّسون اللغة العربية المرحلة الأساسية في مدارس مديرية التربية والتعليم للواء البادية الشمالية الغربية. وتمّ اختيارهم بالطريقة المتيسرة. وأعدّت الباحثة استبانة تكوّنت من (34) فقرة لمهارات الاستماع الناقد. وتوصلت الدّراسة في نتائجها: أنَ دور القصة في تنمية مهارات الاستماع الناقد لطلبة المرحلة الأساسية من وجهة نظر معلمي اللغة العربية جاء بدرجة متوسطة. وتوصلت الدّراسة أيضاً إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً تعزى لأثر المؤهل العلمي، والجنس، وعدد سنوات الخبرة بالنسبة لدور القصة في تنمية مهارات الاستماع الناقد لطلبة المرحلة الأساسية من وجهة نظر معلمي اللغة العربية.

. دراسة الصويركي (2019)، السعودية: بعنوان: (مهارات الاستماع اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة جامعة الملك عبد العزيز: دراسة تحليلية).

هدفت الدراسة إلى تعرّف مهارات الاستماع اللازمة للتفوق الدراسي لدى جامعة الملك عبد العزيز. ولتحقيق هدف الدراسة، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، قام الباحث بإعداد استبانة لتحديد مهارات الاستماع اللازمة لطلبة الجامعة، وبناء اختبار مهارات الاستماع لدى طلبة الجامعة، وشملت عينة الدراسة (213) طالباً وطالبة، وقد توصلت الدراسة إلى وضع قائمة بمهارات الاستماع اللازمة للتفوق الدراسي لطلاب الجامعة، وأظهرت النتائج أن مستوى اكتساب طلاب الجامعة (عينة البحث) لمهارات الاستماع اللازمة للتفوق الدراسي كانت جيدة، وأن مستوى التمكن من هذه المهارات يقع ضمن المستوى الجيد.

. دراسه البشري (2017)، السعودية: بعنوان: (مهارة الاستماع في كتب اللغة العربية المقررة على طلبة المرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية).

هدفت الدراسة إلى تعرُّف مدى تضمين مهارات اللغة العربية في كتاب اللغة العربية المقررة على طلبة المرحلة المتوسطة بالسعودية ومقارنتها مع مهارات اللغة الأخرى. واعتمدت الدراسة منهج تحليل المضمون، لتحقيق هدف الدراسة قام الباحث بتحليل جميع الأنشطة الواردة في كتب الطلاب وكتب النشاط المقررة على طلبة المرحلة المتوسطة في الصفوف الثلاثة مستخدماً أسلوب تحليل المحتوى. وقد أظهرت الدراسات قصوراً في تنمية مهارة الاستماع في تلك الكتب حيث احتلت مهارة الاستماع الترتيب الآخير من بين مهارات اللغة العربية، ولم تتجاوز نسبة تضمينها (7.90%)، كما أظهرت النتائج عدم وجود توازن في نسبة توزيع مهارات اللغة العربية في الكتب المقررة في السعودية.

. دراسه قورة وآخرون (2011)، السعودية: بعنوان: (مهارات الاستماع اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة جامعة طيبة "دراسة تحليلية").

هدفت الدراسة إلى تعرف درجة توافر مهارات الاستماع اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة جامعة طيبة بالسعودية، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من (214) طالباً وطالبة، تم تطبيق استبانة مهارات الاستماع اللازمة للتفوق الدراسي. كشفت نتائج الدراسة عن ضرورة الاهتمام بتدريس مهارات الاستماع لمرحله التعليم الجامعي بهدف التدريب المبكر على مهاراته واتقانها وفقاً للأسس العلمية وتفعيل دور الأنشطة الصفية وغير الصفية بما يساعد على صقل مهارات الاستماع لدى طلبة الجامعة، وأن مهارات الاستماع حصلت على نسبه مئوية عالية عن بقية المهارات الثلاث في القائمة مع وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات عينة الدراسة في اختبار مهارات الاستماع لدى الطلبة ولصالح طلبة الكليات العلمية، وذلك على مستوى جميع المهارات حيث التفوق في مهارات الاستماع الناقد.

. دراسة الناقة والشيخ العيد (2009)، فلسطين: بعنوان: (مدى امتلاك طلبة المرحلة الأساسية لمهارات الاستماع).

هدفت الدراسة إلى تعرُّف درجة امتلاك طلبة المرحلة الأساسية لمهارات الاستماع في منطقه خان يونس في فلسطين. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، شملت عينة الدراسة (183) طالباً وطالبة، وتم تطبيق استبانة مهارات الاستماع. كشفت نتائج الدراسة عن وجود تدني في مستوى الطلاب في جميع مهارات الاستماع المطلوبة ما عدا مهارة ترتيب الأفكار الواردة في النص المسموع.

8-2- دراسات أجنبية:

. دراسة جوليك و دورموس Gulec & Durmus (2015)، تركيا، بعنوان:

(دراسة تهدف إلى تنمية مهارات الاستماع لدى طلاب الصف الثاني الابتدائي).

A Study Aiming to Develop Listening Skills of Elementary second Grade Students.

هدفت الدراسة إلى التحقيق في آثار الممارسات المستخدمة من خلال استخدام الأساليب والتقنيات المختلفة بهدف تطوير مهارات الاستماع باستخدام منتجات أدب الأطفال. تم التخطيط للدراسة على أنها دراسة تجريبية من مجموعة واحدة مع اختبار مسبق وقياس ما بعد الاختبار خلال فترة زمنية مدتها اثني عشر أسبوعاً. ضمن نطاق الدراسة، تم استخدام "نموذج تقييم مهارة الاستماع" كأداة قياس قبل الاختبار وبعده، وتم استخدام طرائق وتقنيات مختلفة تهدف إلى تطوير مهارات الاستماع باستخدام منتجات أدب الأطفال خلال الممارسات التي استمرت عشرة أسابيع. شملت الدراسة ما مجموعه (23) طالبة، (15) طالبة و(8) ذكور. تم تحديد الفئة C2 حيث تم منح مجموعة الدراسة ساعتين في الأسبوع من تدريب الاستماع الذي استمر اثني عشر أسبوعًا. في نهاية التدريب على الاستماع، لوحظ تطور ملحوظ في مهارات الاستماع لدى الطلاب. علاوة على ذلك، نتيجة للدراسة، تبين أن الفرق بين درجات التحصيل في الاختبار القبلي والبعدي له دلالة إحصائية. أشارت نتائج الدراسة إلى أن الممارسات التي يتم إجراؤها باستخدام الأساليب والتقنيات المختلفة المستخدمة بهدف تطوير مهارات الاستماع عبر

استخدام منتجات أدب الأطفال طورت مهارات الاستماع لدى طلاب الصف الثاني الابتدائي. علاوة على ذلك، كشفت النتائج التي تم الحصول عليها خلال الدراسة أن نصوص أدب الأطفال المناسبة تؤثر في تنمية مهارات الاستماع للأطفال بطريقة إيجابية.

. دراسة تانريكولو Tanrıkulu (2020)، تركيا:

عنوان الدراسة: (تأثير نصوص الاستماع L2 المقتبسة مع القصة الرقمية على درس الاستماع).

The Effect of L2 Listening Texts Adapted to the Digital Story on the Listening Lesson.

هدفت الدراسة التي أجريت كنموذج للبحث الإجرائي إلى تحديد تأثير استخدام نموذج القصة الجديد، السرد الرقمي (DST) كمدخل منتج في دروس الاستماع حول دروس الاستماع. تتكوَّن مجموعة العمل البحثية من طلاب جامعيين أجانب جامعيين في التعليم العالي تموّلهم الأمم المتحدة في الغالب بلغ عددهم (49) طالباً وطالبة. يغطي الإجراء المكون من خطوتين اثني عشر أسبوعاً مدة كل منها ستة أسابيع. تم تطبيق الخطوة الأولى على الطلاب الذين يدرسون في المستوى C1 والخطوة الثانية تم تطبيقها على الطلاب الذين يدرسون في المستوى B1. أثناء الإجراء، تم استخدام (40) نصاً بتنسيق DST لدرس الاستماع. تم استخدام مذكرات الباحث ومذكرات الطلاب ومناقشات المجموعة البؤرية كأدوات لجمع البيانات. تم إنشاء السمات عن طريق ترميز البيانات وتصنيفها. نتيجة للبحث، لوحظ أن رواية القصص الرقمية لها تأثير إيجابي في تنمية مهارات الاستماع، وتؤثر بشكل إيجابي في التعلم وأكثر فاعلية مقارنة بدروس الاستماع التي يتم تدريسها بالتسجيلات الصوتية وتزيد من تحفيز الطلاب.

8-3- التّعقيب على الدّراسات السّابقة:

من خلال استعراض الدّراسات السّابقة لوحظ أنّ هذا البحث يتفق معها من حيث أهمية دراسة مهارات الاستماع الفعَّال لدى الطلبة كدراسة كل من: العنزي (2021)، الصويركي (2019)، البشري (2017)، قورة وآخرون (2011)، الناقة والشيخ العيد (2009). كما

اتفق البحث الحالي مع غالبية الدراسات السابقة في الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، عدا دراسة البشري (2017) التي اعمدت على منهج تحليل المضمون.

كما لوحظ أنّ هذا البحث يختلف مع الدّراسات السّابقة من حيث:

1. التّطرق إلى موضوع مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي.
2. مكان وعينة البحث، حيث أن إجراءات هذا البحث طُبّقت على عينة من مدرّسي التعليم الثانوي في مديرية تربية دمشق، بينما جميع الدّراسات السّابقة التّي أجريت في فلسطين والسعودية والأردن تناولت أهمية تنمية مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى الطلاب.

9 . الإطار النظري:

9-1- أنواع الاستماع: يصنَّف الاستماع من حيث الغرض وفق الآتي:

- الاستماع بغرض الحصول على معلومات: أي استماع التفاصيل، والانتباه في المسموع وربط الأفكار ببعضها البعض.
- الاستماع بغرض النقد والتحليل: يتطلب هذا النوع من المجتمع اليقظة والانتباه إلى المتحدث.
- الاستماع بقصد الاستماع: هذا النوع من الاستماع يهدف إلى التذوق والاستماع، وهذا ليس في مجال الكلمة فقط بل في مجال الموسيقى أيضاً، فإمَّا أن يكون راضياً بها أو التعليق عليها (صومان، 2009، 147).

مما سبق يُمكن القول إنَّ عمليه الاستماع تختلف أنواعها باختلاف الغرض والهدف منها، فهناك استماع لحل المشكلات، واستماع للاستماع، واستماع للدرس، واستماع لحل النزاع، والاستماع من أجل الموسيقى ... الخ.

وهناك أنواع الاستماع من حيث المهارات تُقسم وفق الآتي:

- الاستماع الاستنتاجي: هو استماع يتضمن عملية استخلاص الأفكار العامة، واستنتاج معاني الكلمات غير الواضحة من السياق.
- الاستماع للموازنه والنقد: هو الاستماع الذي يتطلب الموازنة بين المتحدث والمجتمع، والتمييز بين المعاني والأفكار، والتأكد من صحتها أو خطئها.

- الاستماع للتوقع: فيه يتوقع الطلبة ما سيقوله المتكلم، ويعرف هدفه من من خلال كلامه، حتى يتوصَّل الى مضمون كلام المتحدث (عطية، 2009، 230).

9-2- طرائق تنمية مهارة الاستماع لدى الطلبة: يمكن تنمية مهارة الاستماع لدى الطلبة بالعديد من الطرائق والأساليب والوسائل منها:

- تسجيل بيانات الدرس، التاريخ، الفصل الدراسي، الحصة الدراسية، المادة الدراسية، ثم تسجيل عنوان الدرس، ثمَّ الاستماع لنص مقروء أو مسجّل نثراً كانت أم شعراً أو أي مادة أخرى.
- تحديد المفاهيم: هي الكلمات الجديدة في المقطع وتحديد الأفكار الرئيسية والفرعية للمقاطع المختارة.
- تحديد تعميمات: هي القوانين المرتبطة بالحقائق الموجودة بالمقطع، وكذلك القواعد الأخلاقية (القيم والاتجاهات، والسلوكيات).
- تحديد الأهداف التدريسية: في صياغة إجرائية محددة في ضوء المفاهيم والتعميمات المحدَّدة سلفاً.
- الانتباه: حيث يعمل الفرد على تركيز الانتباه لما يسمعه، وما يتبعه من مسائل ومعلومات، وتفسيرها تفسيراً واضحاً من ثمَّ تحديده، وما يترتب عليها من سلوك أو فعل يصدر عن الشخص.
- التركيز على الكلام للمتكلم: لأن التركيز على المتكلم يُشتِّت الذهن.
- استخلاص الامور المهمه في الكلام وإدراك العلاقة فيما بينها للوصول إلى الفكرة الكلية وإدراك أهدافه.
- مراعات آداب الاستماع بالجلسة المحدَّدة بالاهتمام والاهتمام بما يقول الفرد المتكلم، ومتجنِّباً الكلام بدون إذن والحركات الموحية بعدم الاكتراث (عون، 2012، 213-214).

9-3- معوقات تعلم مهارة الاستماع: يمكن تصنيف معوّقات تعلم مهارة الاستماع إلى عدة أصناف منها المشكلات المتعلقة بالمستمع، وتكون في اطارين اثنين هما: مشكلات خَلقية حسِّية مثل: ضعف في الجهاز السمعي أو مشكلات نفسية، مثل: العزوف عن

الاستماع وعدم تعلمه لضعف القدرة الذهنية، وتدني مستوى الذكاء لديه. وهناك مشكلات ذات العلاقة بالمادة المسموعة بحيث تكون المادة غير ملائمة لمستوى الطلبة، وغير مشبعة لحاجاتهم (الشنطي، 2001، 401). أيضاً المشكلات المتعلقه بالمدرِّس: ربَّما يكون المدرِّس غير قادر على ملاحظة الفروق أو أن يكون عاطفياً يتساهل في السيطرة على الدرس وقت الاستماع، أو ربَّما لا يُجيد تدريس فن الاستماع، ومشكلات تتعلَّق بالطريقة فقد لا تتطابق طريقة التدريس التي يستخدمها المدرِّس مع الدوافع إلى الفهم والاستماع، فقد تفتقر الطريقة التدريسية إلى الوسائل التعليمية الناجح والملائمة للمادة التعليمية (السفاسفة، 2010، 78).

10- منهج البحث:

اعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي التحليلي الذي يحاول "وصف طبيعة الظاهرة موضع البحث، فالمنهج الوصفي التحليلي يساعد على تفسير الظواهر التربوية الموجودة، كما يفسر العلاقات بين هذه الظواهر" (عباس وآخرون، 2007، 161)، يضاف إلى ذلك أنه يساعد الباحثة في الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذه الظواهر استناداً إلى حقائق الواقع، وتعد الأبحاث الوصفية أكثر من مشروع لجمع معلومات فهي تصف وتحلل وتقيس وتُقيم وتفسر.

11- المجتمع الأصلي للبحث:

تكوَّن المجتمع الأصلي للبحث من جميع مدرسي مادة اللغة العربية في مرحلة التعليم الثانوي العام للصفوف: (الأول، والثاني، والثالث الثانوي) في مدارس التعليم الثانوي العام بمحافظة دمشق والذين بلغ عددهم (668) مُدرّس ومُدرّسة في العام الدراسي (2020-2021م).

12- عينة البحث:

لكي يُضمن تمثيل المجتمع الأصلي للبحث في العينة تم سحب عينة البحث الحالي بطريقة عشوائية طبقية، وعملت الباحثة على أن تكون عينة البحث ممثلة لأغلبية المناطق الجغرافية التعليمية في محافظة دمشق، بعد أن قامت الباحثة بتقسيم محافظة دمشق إلى خمس مناطق جغرافية هي: (الشمال، الجنوب، الوسط، الشرق، الغرب)، وبذلك تكونت عينة البحث من (167) مدرساً ومدرسة، وتمثل هذه العينة نسبة (25%)

من مجتمع البحث الأصلي لمدرسي اللغة العربية في مرحلة التعليم الثانوي في مديرية تربية دمشق. وتتوزع العينة وفق الجدول رقم (1، 2، 3) في الملحق /2/.

13- أداة البحث:

13-1- استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة:

. تحديد الهدف من الاستبانة:

تهدف الاستبانة إلى تحقيق أهداف البحث في تعرُّف: مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية، والكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة البحث وفق متغيرات البحث: (الجنس، المؤهل العلمي، عدد سنوات الخبرة).

. مرحلة الاطلاع واختيار بنود الاستبانة:

تم فيها الاطلاع على بعض الدراسات التي تناولت موضوع مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة لطلبة التعليم الثانوي، وكان الهدف من الرجوع إليها معرفة بنود لتعرُّف مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للطلبة التي تناولها الباحثون في دراساتهم كدراسة كل من: البشري (2017)، العنزي (2021)، الصويركي (2019)، ثم **طوَّرت الباحثة** في ضوء هذه الاستبانات والدراسات السابقة بنوداً معينة تتألف منها استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة لطلبة التعليم الثانوي. وبعد الاطلاع على الدراسات السابقة بما تتضمنه من بنود لقياس مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة لتحقيق التفوق الدراسي لطلبة التعليم الثانوي، تم صياغة (25) بنداً موزعة على المحاور الخمسة.

وتتم الإجابة عن عبارات الاستبانة بواحدة من الإجابات التالية حسب مقياس ليكرت: (موافق بدرجة مرتفعة جداً، بدرجة مرتفعة، بدرجة متوسطة، بدرجة منخفضة، بدرجة منخفضة جداً). فالعبارات تُعطى درجاتها وبالترتيب السابق على النحو التالي: (5-4-3-2-1).

. صدق استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة:

1) الصدق الظاهري: بهدف التحقق من صلاحية بنود استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للطلبة عُرِضت الاستبانة على عدد من أعضاء الهيئة التدريسية بقسم اللغة العربية في المعهد العالي لتعليم اللغات، وفي كلية التربية في جامعة دمشق بلغ عددهم (6) محكمين، لبيان رأيهم في صحة كل بند، ودرجة ملاءمته للمحور الذي ينتمي إليه، فضلاً عن ذكر ما يرونه مناسباً من إضافات أو تعديلات، وبناءً على الآراء والملاحظات لم يتم استبعاد أي بند من الاستبانة، لكن تم تعديل بعضها من حيث الأسلوب والصياغة، وحذف بند واحد؛ وبالتالي بلغ المجموع النهائي لبنود هذه الاستبانة بصورتها النهائية (24) بنداً تم توزيعها على خمسة محاور.

2) صدق البناء الداخلي: يبين الارتباط بين المجموع الكلي والمحاور الفرعية، حيث تمَّ إجراء ارتباط المجموع الكلي بالمحاور الفرعية، وأظهرت النتائج أنَّ ارتباط الدرجة الكلية مع المحاور الفرعية مرتفع، وتراوح ما بين (0,873 و 0,925)، ما يدل على أنَّ استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للطلبة في التعليم الثانوي متجانسة في قياس الغرض الذي وضعت من أجله، وتتسم بالصدق الداخلي.

. ثبات استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للطلبة في التعليم الثانوي:

تمَّ حساب ثبات الاستبانة وفق الطرائق الآتية: إنَّ إعادة تطبيق الاختبار يدل على الاستقرار عبر الزمن، لذلك تمَّ تطبيق الاستبانات على العينة الاستطلاعية مرتين متتاليتين بفارق زمني أسبوعين، وتمَّ حساب **معامل الارتباط سبيرمان** بين استجابات الأفراد حسب التجزئة النصفية، وبيرسون حسب الإعادة، وألفا كرونباخ، وأظهرت النتائج أنَّ جميع قيم معاملات الثبات مرتفعة وتدل على ثبات الاستبانة، وتسمح بإجراء البحث، حيث بلغت درجة الثبات بالإعادة في الدرجة الكلية للاستبانة (0.884)، وبلغت قيم ثبات التجزئة النصفية (0.827)، وقيمة ثبات ألفا كرونباخ (0.802).

14 . عرض النتائج ومناقشتها وتفسيرها:

أ . عرض نتائج السؤال الرئيس في البحث:

1- ما مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية؟

لحساب مستوى تقدير أفراد عينة البحث لمهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية العاملين في مديرية تربية دمشق، تم حساب المتوسط الحسابي لكل بند ثمَّ للدرجة الكلية للاستبانة، وأظهرت النتائج كما في الملحق رقم /2/ أنَّ متوسط البنود جميعها، يشير إلى مستوى مرتفع في تقدير أفراد عينة البحث من مدرسي التعليم الثانوي العاملين في مديرية تربية دمشق لمهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي، إذ بلغ مجموع المتوسط الحسابي لاستجابة أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي (3.47). كما تبين من وجهة نظر أفراد عينة البحث أنّ أكثر المحاور ارتفاعاً في تقدير أفراد عينة البحث من مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى الطلبة هو المحور الثاني: (مهارة الاستيعاب) الذّي جاء في المرتبة الأولى بمتوسط بلغ (3.62) وهو مستوى مرتفع، يليه في المرتبة الثّانية محور مهارة التذكر بمتوسط بلغ (3.49)، يتبعه في المرتبة الثّالثة محور التفكير التقويمي بمتوسط بلغ (3.47)، ثمَّ في المرتبة الرابعة محور مهارة التذوق والنقد بمتوسط بلغ (3.42)، وأخيراً جاء في المرتبة الخامسة محور مهارة الفهم بمتوسط بلغ (3.42).

وقد يعود السبب في ذلك المستوى المرتفع لتقدير أفراد عينة البحث من مدرِّسي اللغة العربية في التعليم الثانوي العام العاملين في مديرية تربية دمشق لمهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي، إلى المميزات العديدة التي تتمتع بها مهارات الاستماع، ودورها الكبير في إكتساب بقية مهارات اللغة العربية، فمهارة الاستماع إحدى الوسائل التعليمية التي يعتمد عليها المتعلم في اكتساب المعلومات والمفاهيم والمعارف المختلفة، حيث تؤدي الكلمه الشفوية دوراً مهماً في عمليه التعلُّم والتعليم، كما أنها الأداة الأكثر فعَّالية في مرحلة التعليم الثانوي؛ لذا فإنَّ مهارات الاستماع هي الأساس الذي اعتمد عليه

الطالب والمدارس في تعليم جميع المعارف والمهارات اللغوية في مادة اللغة العربية، كما أنَّ مهارات الاستماع أساسية في استيعاب وتحصيل الطالب الدراسي وتفوقه، في بعض الأحيان يتأخر الطالب في التحصيل الدراسي ليس بسبب نقص في الذكاء العام، بل لأنه لا يستوعب ولا يفهم بوضوح ما يقوله المدرس او ما يتضمنه شرح المدرّس للمادة العلمية، ولهذا تأثير كبير في عملية التقبل، والترغيب في متابعة التعليم، وما ينتج عنها من فوائد في تطوير الملكة اللغوية والزاد المعرفي للطالب أيضاً.

ب- عرض نتائج فرضيات البحث: تمَّ اختبار الفرضيات الآتية عند (0.05):

- **الفرضية الأولى:** لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي وفق متغير الجنس.

للتحقق من صحة هذه الفرضية تمَّ حساب الفروق بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي، تعزى إلى متغير الجنس: (ذكور، إناث)، وذلك باستخدام اختبار ت ستودينت (t-test)، وجاءت النتائج كما في الملحق رقم /2/.

مناقشة الفرضية: يظهر من خلال الجدول (9) بأن قيمة ت = (1,206) عند درجة حرية = (165)، والقيمة الاحتمالية (0,230)، وهي أكبر من مستوى الدلالة (0,05). وهذا يدل على عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسط درجات استجابات المدرسين الذكور ومتوسط درجات استجابات المدرسات الإناث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي.

ويمكن تفسير ذلك بأنَّ مدرسي اللغة العربية من كلا الجنسين أكَّدوا أهمية مهارات الاستماع الفعَّال في تحقيق التفوّق الدراسي للطالب في مرحلة التعليم الثانوي، فمهارات الاستماع لدى الطلبة تزيد من القدرة على تمييز الأصوات والحروف والكلمات تمييزاً صحيحاً؛ إضافةً إلى إثراء حصيلة الطالب اللغوية بالعديد من الألفاظ والأساليب والعبارات الجديدة أو تصحيح ما هو خطأ، كما أنها تنمي التفكير النقدي لدى الطالب من خلال ما يسمع من آراء وأفكار متفقة ومختلفة حول موضوع معيّن، وتساعد الطالب على تنظيم أفكاره بسرعه بطريقة مرتَّبة ومتسلسلة تنمي الذاكرة السمعية لدى الطالب، وتدريبه على الاحتفاظ بالمعلومات مدة زمنية أطول، وزيادة مدة الانتباه لدى الطالب من

خلال التدرج بسماع الموضوعات أو الأناشيد أو القصص، كذلك تنمّي ملكة التخيل والإبداع اللغوي واللغة الشفوية والمهارات المتعلمة بها. وهذا ما دفع المدرسّون من كلا الجنسين إلى التأكيد على أهمية إكساب طلبة التعليم الثانوي مهارات الاستماع من أجل تحقيق التفوّق الدراسي. وتتفق نتيجة البحث الحالي مع نتيجة دراسة العنزي (2021) التي أظهرت نتائجها عدم وجود فروق دالة إحصائياً تعزى لمتغير الجنس.

– **الفرضية الثانية:** لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي وفق متغير المؤهل العلمي.

للتحقق من صحة هذه الفرضية تمَّ حساب دلالة الفروق بين متوسط إجابات أفراد عينة البحث في استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي تبعاً لمتغير المؤهل التربوي: (إجازة جامعية، دبلوم تأهيل تربوي فأعلى)، وذلك باستخدام اختبار ت ستودينت. وجاءت النتائج كما في الملحق رقم /2/.

يتبين من الجدول (10)، وبعد اختبار ت ستودينت أن قيمة (ت) المحسوبة غير دالة عند مستوى الدلالة (0,05) في إجابات أفراد عينة البحث في استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي. **وبالتالي تقبل الفرضية الصفرية.** لأنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي وفق متغير المؤهل العلمي.

وقد يعزى ذلك إلى أنَّ المدرّس الذي يمتلك مؤهل علمي أعلى يستطيع أن يقوم باستعمال وسائل تعليمية متنوّعة (بصرية، وسمعية) لتنمية مهارات الاستماع الفعَّال لدى الطلبة، ويفهم مدى أهمية هذه المهارة اللغوية وأثرها الكبير في باقي مهارات اللغة العربية، ودورها في مساعدة الطالب على تحقيق التفوق الدراسي في مرحلة التعليم الثانوي العام، لذا يعمل على تمكين الطالب من استخدام اللغة بشكل متكامل، وتدريبه على التمكُّن من مهارات الاستماع الفعَّال المتنوّعة، والبعد عن الأحاديث الجانبية التي تُشتت انتباهه وتُضعف تركيزه في أثناء الحصة الدراسية، وإن قدرة الطالب على أداء مهارات الاستعمال

تتأصل عنده عندما يحظى بالاهتمام والتدريب المستمر لتلك المهارات، ويهيأ له الجو المناسب ولا تكون تلك التهيئة إلا باتجاهات المدرس نحو نفسه، ونحو الآخرين، ونحو الأفكار والموضوعات. وتلك الاتجاهات تحدد مدى قدرة المدرّس على خلق البيئة لدفع نمو الطالب واكتساب تلك المهارات وتحقيق التفوق الدراسي في تلك المرحلة المهمة من حياته التعليمية. وتتفق نتيجة البحث الحالي مع نتيجة دراسة العنزي (2021) التي أظهرت نتائجها عدم وجود فروق دالة إحصائياً تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

– **الفرضية الثالثة:** لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي وفق متغير عدد سنوات الخبرة.

للتحقق من صحة هذه الفرضية تمَّ بحساب دلالة الفروق بين متوسط إجابات أفراد عينة البحث في استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي تبعاً لمتغير عدد سنوات الخبرة: (5 سنوات فما دون، من 6– 10 سنوات، من 11– 15 سنة، 16 سنة فأكثر)، وذلك باستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي أنوفا (ANOVA). وجاءت النتائج كما في الملحق رقم /2/.

يتبين من الجدول (11)، وبعد اختبار تحليل التباين (ANOVA) أن قيمة (ف) المحسوبة غير دالة عند (0,05) في إجابات أفراد عينة البحث في استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي. **وبالتالي تُقبل الفرضية الصفرية.**

ويُمكن تفسير ذلك بأنَّ المدرسون باختلاف سنوات الخبرة الدراسية لديهم يعرفون الأساليب والطرائق التدريسية والتقنيات التعليمية البصرية والسمعية التي ينبغي الاستعانة بها في مساعدة الطلاب على تنمية قدراتهم ومهاراتهم في التدرُّب على مهارات الاستماع الفعَّال، كما أنهم قادرون على خلق جو مناسب في داخل الصف الدراسي، بحيث يزوّد الطلاب بنوع من الثقة بأنهم قادرون على التركيز والانتباه والإنصات الجيد لما يقوله المدرّس، وقادرون على تحفيز الطلاب نحو الموضوعات المهمة في أثناء الدرس، وتزويد الطلاب بالعديد من الخبرات اللغوية والمواقف والتجارب التي يمكن أن يتحدث عنها، وقدرتهم على تنويع الأنشطة اللغوية المقدَّمة للطلاب، مثل: عرض نصوص لغوية مسجَّلة لهم إلكترونياً، وإلقاء التعليمات وإعطاء التوجيهات، والاشتراك في المناظرات

والمجادلات والندوات، وقص القصص، وحكاية الحكايات الشعبية، وسرد الفكاهات والطرائف وإلقاء الخطب والمحاضرات، وعرض التقارير والمشاهدات.

وتتفق نتيجة البحث الحالي مع نتيجة دراسة العنزي (2021) التي أظهرت نتائجها عدم وجود فروق دالة إحصائياً تعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة.

15 . مقترحات البحث:

بناءً على نتائج البحث خلُصت الباحثة إلى المقترحات الآتية:

1) تنمية مهارات التواصل الفعَّال في كل مرحلة تعليمية باستخدام الوسائل التعليمية السمعية المتنوعة.
2) تنفيذ دورات تدريبية للمدرسين حول أهميه تدريس وتنمية مهارات الاستماع المتنوعه اللازمة للتفوق الدراسي للطلاب في مرحلة التعليم الثانوي من أجل تزويد الطلبة بها.
3) التأكيد على مؤلفي كتب اللغة العربية في مرحله التعليم الثانوي بضرورة مراعاة جميع مهارات اللغة العربية وخاصة مهارات الاستماع منها عند تأليف الكتب الدراسية.
4) مراعاة مخططي المناهج تضمين مناهج اللغة العربية الأنشطة السمعية المتنوعة والهادفة، لبناء مواقف تعليمية مشوقة محببة لدى المتعلمين.
5) عقد ورشات عمل ودورات تدريبية لتدريب المدرسين في مرحلة التعليم الثانوي على أساليب تنمية مهارات الاستماع الفعَّال في التدريس.
6) إعداد دليلي تدريبي لكيفية استخدام الأنشطة السمعية في التدريس، ليُساعد المدرسين على تنمية مهارات الاستماع الفعَّال لدى الطلبة.

قائمة المراجع

. المراجع العربية:

1. البشري، محمد شديد. (2017). مهارة الاستماع في كتب اللغة العربية المقررة على طلبة المرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية. ***مجلة العلوم التربوية والنفسية،*** كلية التربية، جامعة البحرين، المجلد (18)، العدد (1)، البحرين، ص. ص: 217– 242.

2. البشير، أكرم عادل. (2005). مهارة الاستماع في منهاج اللغة العربية لصفوف الحلقة الثانية من المرحلة الأساسية في الأردن. ***المجلة التربوية،*** جامعة الكويت، المجلد (20)، العدد (77)، ص. ص: 99– 127.

3. جاب الله، علي. (2007). ***تنمية المهارات اللغوية وإجراءاتها التربوية.*** القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع.

4. الخويسكي، زين كامل. (2008). ***المهارات اللغوية (الاستماع، التحدث، القرءة، الكتابة).*** الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

5. زايد، فهد خليل.(2006). ***أساليب تدريس اللغة العربية بين المهارة والصعوبة.*** عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع.

6. السفاسفة، عبد الرحمن إبراهيم. (2010). ***طرائق تدريس اللغة العربية.***عمان: مكتبة الفلاح.

7. الشنطي، محمد صالح. (2001). ***المهارات اللغوية (مدخل إلى خصائص اللغة العربية وفنونها).*** ط2، القاهرة: دار الأندلس للنشر والتوزيع.

8. صومان، أحمد. (2009). ***أساليب تدريس اللغة العربية.*** عمان: دار نهوان للنشر والتوزيع.

9. الصويركي، محمد علي. (2019). مهارات الاستماع اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة جامعة الملك عبد العزيز: دراسة تحليلية. ***المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية***، العدد (6)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ص. ص: 241– 262.

10. طاهر، علوي عبد الله. (2012). ***تدريس اللغة العربية وفقاً لأحدث الطرائق التربوية***. عمان: دار المسيرة.

11. طعيمة، رشدي أحمد. (1987). ***مفهوم اللغة ووظائفها***. القاهرة: دار الفكر.

12. عباس، محمد وآخرون (2007). ***مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس***. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

13. العنزي، رشا خلف محمد. (2021). ***دور القصة في تنمية مهارات الاستماع الناقد لدى طلبة المرحلة الأساسية في الأردن من وجهة نظر معلمي اللغة العربية***. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت. كلية العلوم التربوية، المفرق، الأردن.

14. عون، فاضل ناهي. (2012). ***طرائق تدريس اللغة العربية وأساليب تدريسها***. عمان: دار صفاء.

15. عيد، زهدي محمد. (2011). ***مدخل إلى تدريس مهارات اللغة العربية***. عمان: دار صفاء.

16. قورة، علي عبد السميع؛ سنجي، سيد محمد السيد علي؛ أبو لبن، وجيه المرسي إبراهيم. (2011). مهارات الاستماع اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة جامعة طيبة "دراسة تحليلية". جامعة المنصورة، كلية التربية، ***مجلة كلية التربية بالمنصورة***، الجزء (2)، العدد (75)، مصر.

17.اللحيدان، عبد الله بن إبراهيم. (2003). الاستماع في مجال الدعوة: أهميته ووسائل تحسينه. ***مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية،*** المجلد (15)، العدد (1)، السعودية، ص. ص: 119- 241.

18.مدكور، علي أحمد. (2002). ***تدريس فنون اللغة العربية.*** القاهرة: دار الفكر العربي.

19.مصطفى، عبد الله علي. (2007). ***مهارات اللغة العربية.*** عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

20. الناقة، صلاح أحمد؛ الشيخ العيد، إبراهيم سليمان. (2009)، مدى امتلاك طلبة المرحلة الأساسية لمهارات الاستماع. ***مجلة القراءة والمعرفة،*** جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، العدد (89)، ص. ص: 86- 110.

Arabic references:

.1Al-Bishri, Muhammad Shadeed. (2017). Listening skill in the Arabic language textbooks prescribed for middle school students in the Kingdom of Saudi Arabia. Journal of Educational and Psychological Sciences, College of Education, University of Bahrain, Volume (18), Issue (1), Bahrain, p. Pg: 217-242.

.2Al-Bashir, Akram Adel. (2005). Listening skill in the Arabic language curriculum for the second cycle of the basic stage in Jordan. Educational Journal, Kuwait University, Volume (20), Issue (77), p. Pg: 99-127.

.3Jaballah, Ali. (2007). Developing language skills and educational procedures. Cairo: ITRAC for printing, publishing and distribution.

.4Al-Khoesky, Zain Kamel. (2008). Language skills (listening, speaking, reading, writing). Alexandria: University Knowledge House.

.5Zayed, Fahd Khalil. (2006). Methods of teaching the Arabic language between skill and difficulty. Amman: Dar Al-Yazuri for publication and distribution.

.6Al-Safasfa, Abdul Rahman Ibrahim. (2010). Methods of teaching the Arabic language. Amman: Al-Falah Library.

.7Al-Shanti, Muhammad Salih. (2001). Language skills (Introduction to the characteristics and arts of the Arabic language). 2nd edition, Cairo: Dar Al-Andalus for publication and distribution.

.8Souman, Ahmed. (2009). Methods of teaching the Arabic language. Amman: Dar Nahwan for publication and distribution.

.9Al-Swerki, Muhammad Ali. (2019). Listening skills necessary for academic excellence among King Abdulaziz University students: an analytical study. The Arab Journal of Educational and Psychological Sciences, Issue (6), College of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Saudi Arabia, p. Pg: 241-262.

.10Taher, Alawi Abdullah. (2012). Teaching the Arabic language according to the latest educational methods. Amman: Dar Al Masirah.

.11Taima, Rushdi Ahmed. (1987). The concept of language and its functions. Cairo: Dar Al-Fikr.

.12Abbas, Muhammad et al. (2007). Introduction to research methods in education and psychology. Amman: Dar Al Masirah for publication and distribution.

.13Al-Anzi, Rasha Khalaf Muhammad. (2021). The role of the story in developing critical listening skills among basic stage students in Jordan from the point of view of Arabic language teachers. Unpublished master's thesis, Al al-Bayt University. College of Educational Sciences, Mafraq, Jordan.

.14Aoun, Fadel Nahi. (2012). Methods of teaching the Arabic language and methods of teaching it. Amman: Dar Safaa.

.15Eid, Zuhdi Muhammad. (2011). An introduction to teaching Arabic language skills. Amman: Dar Safaa.

.16Qura, Ali Abdel Samie; Sanji, Syed Muhammad al-Sayyid Ali; Abu Laban, Wajih Al-Mursi Ibrahim. (2011). The necessary listening skills for academic excellence among Taibah University students, an analytical study. Mansoura University, Faculty of Education, Journal of the Faculty of Education in Mansoura, Part (2), Issue (75), Egypt.

.17Al-Luhaidan, Abdullah bin Ibrahim. (2003). Listening in the field of advocacy: its importance and ways to improve it. King Saud University Journal of Educational Sciences, Volume (15), Issue (1), Saudi Arabia, p. P.: 119-241.

.18Madkour, Ali Ahmed. (2002). Teaching Arabic language arts. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

.19Mustafa, Abdullah Ali. (2007). Arabic language skills. Amman: Dar Al Masirah for publication and distribution.

.20The Camel, Salah Ahmed; Sheikh Eid, Ibrahim Suleiman. (2009), the extent to which basic stage students have listening skills. Reading and Knowledge Journal, Ain Shams University, Cairo, Egypt, Issue (89), p. Pg: 86-110.

. المراجع الأجنبية:

21. Cigerci, F. M., & Gultekin, M. (2017). Use of digital stories to develop listening comprehension skills. ***Issues in Educational Research,*** 27(2), 252.

22. Gulec, S; Durmus, N. (2015). A Study Aiming to Develop Listening Skills of Elementary second Grade Students. ***Procedia - Social and Behavioral Sciences,*** (191), p. p: 103- 109.

23. Schneider, M. (2009). Study- Orientation of high and low academic achievers at secondary level. Educational Research and Review, Vol (4), Available online at http://www.academiejournals/ERR.

24. Tanrıkulu, F. (2020). The Effect of L2 Listening Texts Adapted to the Digital Story on the Listening Lesson. ***Turkish Online Journal of Distance Education,*** 21(1):1-18.

الملحق (1)

استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للطلبة في التعليم الثانوي

م	بنود الاستبانة	موافق بدرجة				
		مرتفعة جداً	مرتفعة	متوسطة	منخفضة	منخفضة جداً
	المحور الأول: (مهارة الفهم):					
1.	أن يحدد الفكره العامه للنص المسموع.					
2.	أن يحصر الذهن ويركز في ما يستمع إليه.					
3.	أن يحدد الفكره العامه لفقرة من النص المسموع.					
4.	أن يستخدم إشارات السياق الصوتية للفهم.					
5.	أن يحدد الأفكار الجزئية المكوّنة لكل فكرة رئيسة.					
6.	أن يميز بين الأفكار المرتبطة بالموضوع وغير المرتبطة به.					
	المحور الثاني: (مهارة الاستيعاب):					
7.	ان يلخص الطالب ما يستمع إليه.					
8.	أن يفهم المعاني والمفردات من خلال السياق المسموع.					
9.	أن يستنتج أهداف النص المسموع.					
10.	أن يصنف الأفكار التي تعرض لها المتحدث.					
	المحور الثالث: (مهارة التذكر):					
11.	أن يرتب أفكار النص المسموع.					
12.	أن يربط الجديد المكتسب بخبراتخ السابقة.					
13.	أن يحدّد الافكار وفقاً لتتابعها المسموع.					

14.	أن يتذكر بعض المعلومات الواردة في النص المسموع.					
	المحور الرابع: (مهارة التذوق والنقد):					
15.	أن يُحسن الاستماع والتفاعل مع المتحدث.					
16.	أن يشارك المتحدث عاطفياً.					
17.	أن يُميز نواحي القوه والضعف في النص المسموع.					
18.	أن يصدر الأحكام على النص المسموع قبولاً أو رفضاً.					
19.	أن يستنتج ما بين أفكار النص المسموع من توافق أو تناقض.					
20.	أن يتنبأ ويُحسِن التوقع بماذا ينتهي إليه النص المسموع.					
	المحور الخامس: (التفكير التقويمي):					
21.	أن يقوّم الكلام المسموع من حيث الأسلوب ودقة المعلومات والإلقاء.					
22.	أن يطبق القراءه الجهريه على المتحدث.					
23.	أن ينقد طريقة التعبير عن المعنى المطلوب من حيث صحه العبارة وجودة الصوت والمشاعر المطلوبة.					
24.	أن يُميز بين الصواب والخطا في النص المسموع.					

الملحق (2) النتائج الإحصائية للبحث

الجدول (1) توزع أفراد عينة البحث وفق متغير الجنس

المتغير	الفئة	عدد المدرسين	النسبة
الجنس	ذكور	68	%40.7
	إناث	99	%59.3
	المجموع الكلي	**167**	**% 100**

الجدول (2) توزع أفراد عينة البحث وفق متغير المؤهل التربوي

المتغير	الفئة	عدد المدرسين	النسبة
المؤهل العلمي	إجازة في اللغة العربية	109	%65.3
	دبلوم تأهيل تربوي فأعلى	58	%34.7
	المجموع الكلي	**167**	**% 100**

الجدول (3) توزع أفراد عينة البحث وفق متغير عدد سنوات الخبرة

المتغير	الفئة	عدد المدرسين	النسبة
عدد سنوات الخبرة	5 سنوات فما دون	49	%29.3
	من 6- 10 سنوات	51	%30.5
	من 11- 15 سنة	42	%25.1
	16 سنة فأكثر	25	%15
	المجموع الكلي	**167**	**% 100**

الجدول (4) استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للطلبة في التعليم الثانوي

محاور استبانة مهارات الاستماع الفعَّال	أرقام البنود	عدد البنود
المحور الأول: (مهارة الفهم).	1، 2، 3، 4، 5، 6	6
المحور الثاني: (مهارة الاستيعاب).	7، 8، 9، 10	4
المحور الثالث: (مهارة التذكر).	11، 12، 13، 14	4
المحور الرابع: (مهارة التذوق والنقد).	15، 16، 17، 18، 19، 20	6
المحور الخامس: (التفكير االتقويمي).	21، 22، 23، 24	4

الجدول (5) معاملات الارتباطات (بيرسون) بين الدرجة الكلية والمحاور الفرعية لاستبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للطلبة في التعليم الثانوي

محاور استبانة مهارات الاستماع الفعَّال	معامل الارتباط بيرسون	مستوى الدلالة
المحور الأول: (مهارة الفهم).	0.899**	0.000
المحور الثاني: (مهارة الاستيعاب).	0.925**	0.000
المحور الثالث: (مهارة التذكر).	0.897**	0.000
المحور الرابع: (مهارة التذوق والنقد).	0.907**	0.000
المحور الخامس: (التفكير االتقويمي).	0.873**	0.000

الجدول (6) نتائج الثبات بالإعادة والثبات بالتنصيف وثبات ألفا لاستبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للطلبة في التعليم الثانوي

محاور استبانة مهارات الاستماع الفعَّال	الثبات الإعادة	الثبات بالتنصيف	ألفا كرونباخ
المحور الأول: (مهارة الفهم).	0,827	0,749	0,712
المحور الثاني: (مهارة الاستيعاب).	0,856	0,774	0,750
المحور الثالث: (مهارة التذكر).	0,864	0,790	0,778
المحور الرابع: (مهارة التذوق والنقد).	0,843	0,762	0,747
المحور الخامس: (التفكير االتقويمي).	0,876	0,795	0,788
الدرجة الكلية	0,884	0,827	0,802

الجدول (7) تقدير مستويات /مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية/

المتوسط	المستوى
1 – 1.8	ضعيف جداً
1.81 – 2.60	ضعيف
2.61 – 3.40	متوسط
3.41 – 4.20	مرتفع
4.21 – 5	مرتفع جداً

الجدول (8) الدّرجة الكلية لمتوسط المحاور كافة في استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية

م	محاور استبانة مهارات الاستماع الفعَّال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الرتبي	الرّتبة	المستوى
.1	المحور الأول: (مهارة الفهم).	20.53	5.214	3.42	5	مرتفع
.2	المحور الثاني: (مهارة الاستيعاب).	14.48	3.902	3.62	1	مرتفع
.3	المحور الثالث: (مهارة التذكر).	13.99	3.543	3.49	2	مرتفع
.4	المحور الرابع: (مهارة التذوق والنقد).	20.54	5.374	3.42	4	مرتفع
.5	المحور الخامس: (التفكير االتقويمي).	13.91	3.974	3.47	3	مرتفع
	الدّرجة الكلية	83.45	19.819	3.47		مرتفع

الجدول (9) نتائج اختبار ت ستودينت لدلالة الفروق بين متوسطي الذكور والإناث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية

محاور استبانة مهارات الاستماع الفعَّال	متغير الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة	القرار
المحور الأول: (مهارة الفهم)	ذكور	68	20.03	5.414	165	1.022	0.308	غير دال
	إناث	99	20.87	5.072				
المحور الثاني: (مهارة الاستيعاب)	ذكور	68	14.19	4.049	165	0.789	0.431	غير دال
	إناث	99	14.68	3.806				
المحور الثالث: (مهارة التذكر)	ذكور	68	13.76	3.495	165	0.674	0.501	غير دال
	إناث	99	14.14	3.586				
المحور الرابع: (مهارة التذوق والنقد)	ذكور	68	20.16	5.421	165	0.763	0.447	غير دال
	إناث	99	20.81	5.352				
المحور الخامس: (التفكير االتقويمي)	ذكور	68	13.07	3.933	165	1.283	0.224	غير دال
	إناث	99	14.48	3.918				
الدرجة الكلية	ذكور	68	81.22	19.990	165	1.206	0.230	غير دال
	إناث	99	84.98	19.655				

الجدول (10) نتائج اختبار ت ستودينت لدلالة الفروق بين متوسطي أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية تبعاً لمتغير المؤهل العلمي

محاور استبانة مهارات الاستماع الفعَّال	متغير المؤهل العلمي	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة	القرار
المحور الأول: (مهارة الفهم)	إجازة جامعية	109	18.50	4.876	165	8.098	0.000	دال عند (0.05)
	دبلوم تأهيل فأعلى	58	24.33	3.410				
المحور الثاني: (مهارة الاستيعاب)	إجازة جامعية	109	13.09	4.024	165	7.198	0.000	دال عند (0.05)
	دبلوم تأهيل فأعلى	58	17.09	1.750				
المحور الثالث: (مهارة التذكر)	إجازة جامعية	109	12.76	3.623	165	6.952	0.000	دال عند (0.05)
	دبلوم تأهيل فأعلى	58	16.29	1.845				
المحور الرابع: (مهارة التذوق والنقد)	إجازة جامعية	109	18.19	4.828	165	9.682	0.000	دال عند (0.05)
	دبلوم تأهيل فأعلى	58	24.97	3.078				
المحور الخامس: (التفكير التقويمي)	إجازة جامعية	109	12.64	3.816	165	6.271	0.000	دال عند (0.05)
	دبلوم تأهيل فأعلى	58	16.29	3.089				
الدرجة الكلية	إجازة جامعية	109	75.19	18.862	165	8.977	0.000	دال عند (0.05)
	دبلوم تأهيل فأعلى	58	98.97	9.717				

الجدول (11) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (أنوفا) للفروق بين إجابات أفراد عينة البحث على استبانة مهارات الاستماع الفعَّال اللازمة للتفوق الدراسي لدى طلبة التعليم الثانوي العام من وجهة نظر مدرّسي اللغة العربية تبعاً لمتغير عدد سنوات الخبرة

محاور الاستبانة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	قيمة الاحتمال	القرار
مهارة الفهم	بين المجموعات	182.554	3	60.851	2.290	0.080	غير دالة عند (0,05)
	داخل المجموعات	4331.075	163	26.571			
	المجموع	4513.629	166				
مهارة الاستيعاب	بين المجموعات	65.525	3	21.842	1.446	0.231	غير دالة عند (0,05)
	داخل المجموعات	2462.152	163	15.105			
	المجموع	2527.677	166				
مهارة التذكر	بين المجموعات	36.907	3	12.302	0.980	0.404	غير دالة عند (0,05)
	داخل المجموعات	2047.069	163	12.559			
	المجموع	2083.976	166				
مهارة التذوق والنقد	بين المجموعات	212.022	3	70.674	2.514	0.060	غير دالة عند (0,05)
	داخل المجموعات	4581.392	163	28.107			
	المجموع	4793.413	166				
التفكير االتقويمي	بين المجموعات	83.329	3	27.776	1.784	0.152	غير دالة عند (0,05)
	داخل المجموعات	2538.324	163	15.573			
	المجموع	2621.653	166				
الدرجة الكلية	بين المجموعات	2476.889	3	825.630	2.146	0.097	غير دالة عند (0,05)
	داخل المجموعات	62724.428	163	384.812			
	المجموع	65201.317	166				